الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة ـ

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم : التاريخ

الإمام أبو الوليد الباجي

حياته و آثاره(403 ـ 474هـ/1012 ـ 1081م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص : تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

أعداد الطالبين :

- مكاري بخوش
- بن سلام سفيان

تحت إشراف الدكتور :

طارق بن زاوي

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
01	د . عبد المالك بوقزولة	أ .محاضر	المسيلة	رئيسا
02	د . طـــارق بـــن زاوي	أ .محاضر	المسيلة	مشرفا و مقررا
03	د . عبد الحميد بودرواز	أ . محاضر	المسيلة	ممتحنا

1443 ـ 1444 هـ / 2022 ـ 2023 م

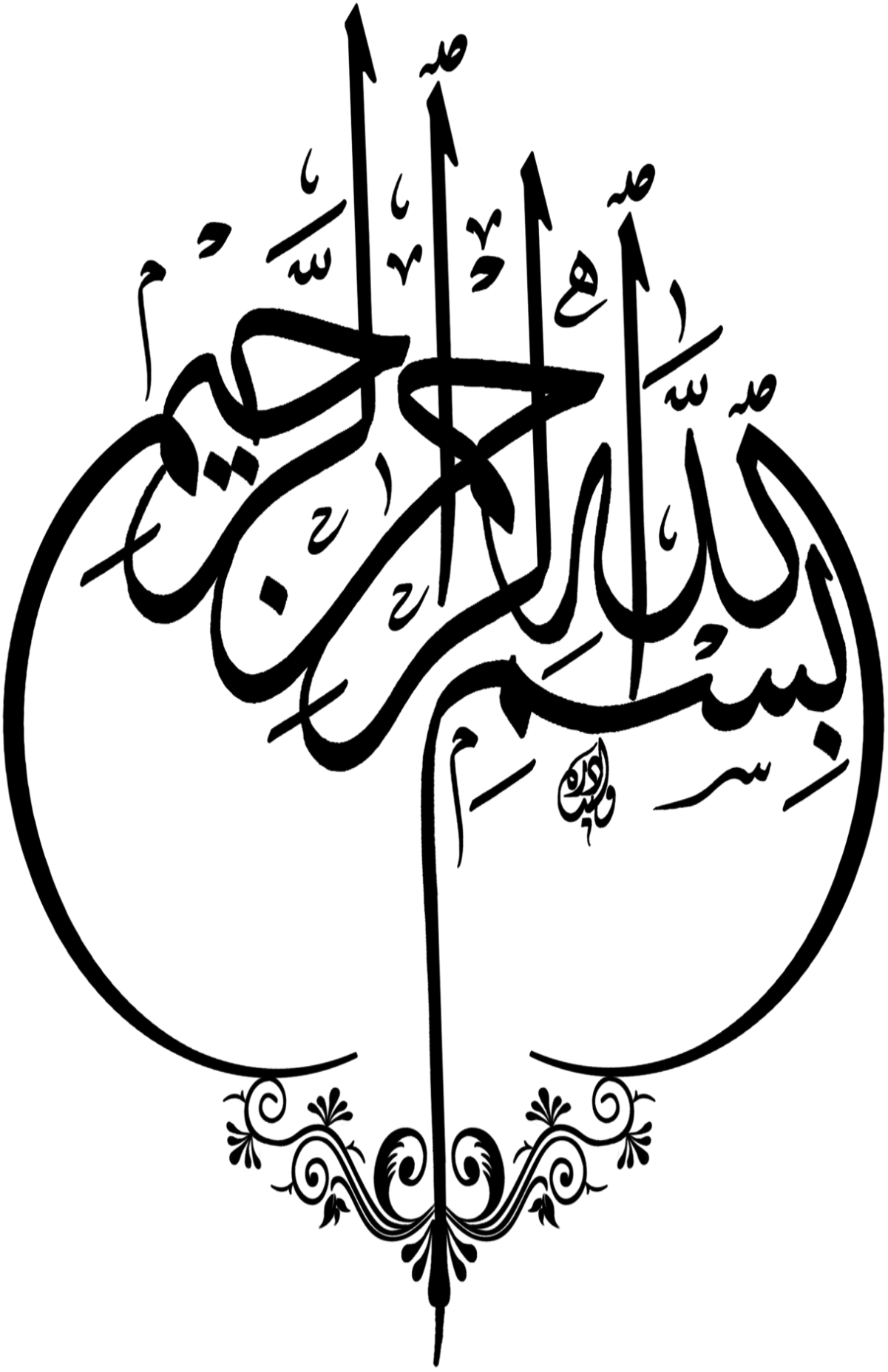
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه و يكافئ مزيده، وعملا بقوله عليه الصلاة و السلام :" لا يشكر الله من لا يشكر الناس " حديث صحيح

* بداية نزجي شكرا موصولا لجامعة محمد بوضياف بالمسيلة المجاهدة،على إتاحتها لنا الفرصة على إتمام دراسة الماستر، سائلين المولى سبحانه و تعالى أن يجزي القائمين و الساهرين عليها كلّ خير.

*ونتوجه بجزيل الشكر وجميل العرفان لأستاذنا الفاضل الدكتور" طارق بن زاوي " الذي تكرّم بقبول الإشراف على مذكرتنا هذه، و حرصه الشديد في إسداءه لنا جميع التوجيهات والملاحظات والنصائح التي أستفدنا منها كثيرًا، فجزاه الله خيرا.

* و الشكر موصول كذلك إلى جميع أساتذتنا الأفاضل، الذين درّسونا ووجّهونا طيلة هذه المدة الدراسية، و كانوا لنا نعم السّند، فأدام الله عزهم و عطاءهم .

*كما لا يفوتنا أن نتقدم بوافر التقدير والاحترام لأعضاء اللجنة الموقرة و المحترمين على عناء قراءة مذكرتنا هذه وقبولها وتصويبها.

*وفيالأخير نشكر كل من قدّم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد

ونسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم إنه ولي ذلك و القادر عليه.

الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا في هذا العمل المتواضع الذي أهديه مع أسمى عبارات الحب والإمتنان إلى :

ـ والدي ((أمي و أبي)) ـ رحمهما ربي ـ رحمة واسعة ،و رفع درجتهما في أعلى عليين، ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا.

ـ إلى رفيقة دربي ، و شريكة حياتي و أم أولادي ، زوجتي العزيزة، التي وفرت لي جميع ظروف النجاح، داعية لي بالفلاح، و شاركتني مشاق البحث حلوه و مره فجزاها الله خيراً.

ـ الى أولادي و فلذات أكبادي : محمد شكيب و نور الإيمان و أنفال حفظهم الله و رعاهم و بارك فيهم .

ـ إلى إخوتي وأحبتي وكل من أحببناه في الله وأحببنا فيه.

ـ إلى جميع أساتذتي المحترمين و أخص بالذكر الدكتورة القديرة :''خد يجة ثلجوم '' وزملاء الدراسة دفعة 2023/2022م و إلى كل من قدم لي يد المساعدة.

الحاج مكاري بخوش

الإهداء

الحمد لله على تمام المنّة، و صلى الله على سيدنا محمد وسلو صلاة تنحل بها العقد وبعد: أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين الكريمين ، أبي و أمي الغاليين ، اللذين رباني صغيرا، و تعاهداني كبيرا، و سهرا على تربيتي و ارشادي أطال الله في عمرهما، و أمدهما بحبائل النعم و جملهما بالصحة و العافية.

الى الكواكب السبعة النيرة، إخوتي الذين كانوا لي دعما و عونا، حفظهم الله .

الى زوجتي و رفيقة دربي و شريكة حياتي الغالية.

الى قرة عيني و فلذة كبدي إسحاق و يعقوب و سيد علي، حفظهم الحافظ

الى كل زملائي الطلبة، وأصدقائي و معارفي(عبد الوهاب بلحسن) .و الى كل من أحببناهم في الله وأحبونا فيه.

بن سلام سفيان

.

مـقدمـة

مقدمة

إنّ الاطلاع على سير القدوات والأعلام، من أعظم الأمور التي تترك في النفوس إعجابًا و محبةً، و في العقول استحسانًا و قناعةً، و في السلوك اقتداءً و اهتداءً للأجيال اللاحقة، و لا شك أنّ الأمم في حالك أزماتها تحتاج إلى مؤثرين، لأنها النموذج في العطاء و التضحية، و المثابرة و الجد و البذل، علمًا و اجتهادًا، و فكرًا و دعوةً و نبراسًا.

ومن الذين سما ذكرهم و علا شأنهم و كانوا نماذج يقتدى بها، الإمام الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، الذي ذاع صيته، و أطبقت شهرته على الآفاق شرقًا و غربًا، و خلد التاريخ اسمه ، فكان عمود السبق بين أقرانه، و علماء زمانه، و الدارس لهذه الشخصية يجد لها الدور البارز، و الأثر العظيم في المشهد العلمي و السياسي، فحفلت حياته بالرحلات العلمية، في طلب العلم و التأليف و المناظرة والتدريس، و السعي بالإصلاح لرأب الصدع السياسي لدي ملوك الطوائف .

ـ أسباب اختيار الموضوع :

ـ سبب ذاتي :

ـ الرغبة الصادقة و حب الاطلاع على ذلك التراث الأندلسي النفيس الذي يعدّ مصدر فخر و اعتزاز لما خلفه الآباء و الأجداد .

ـ توسيع مداركنا التاريخية في كل جوانبها من خلال التطرق لموضوع شخصية أبي الوليد الباجي رحمه الله .

ـ سبب موضوعي:

ـ الكشف عن جوانب من شخصية الإمام أبي الوليد الباجي العلمية و الفكرية و السياسية التي قدمت اسهامات عظيمة و جهود كبيرة للأمة الأندلسية.

ـ إثراء المكتبة الجامعية التاريخية بمثل هذه الدراسات.

ـ إبراز مكنة العلماء في إدارة الأحداث المتعلقة بسياسة الدين و الدنيا.

حتى يتسنى للطالبين سرد الأحداث المتعلقة بشخصية الإمام أبي الوليد الباجي و أثره البارز في الحقل العلمي و السياسي كان لزامًا طرح الإشكال التالي:

ـ كيف استطاع الإمام أبو الوليد الباجي أن يصنع اسما في فلك الأعلام ؟ و ماهي آثاره العلمية و السياسية في بلاد الأندلس؟

وتعنّ تحت هذه الإشكالية تساؤلات جزئية مهمّة هي:

ـ ماهي الأوضاع العامّة التي اكتنفت عصر الإمام أبي الوليد الباجي؟ و ما مميزات شخصيته و نشأته؟

ـ ما تجليات النشاط العلمي من خلال حياته العلمية و آثارها؟

ـ ما منهج الإصلاح السياسي عند الباجي وما مستوياته؟

ـ ما ميادين و مراحل الاصلاح العلمي و التربوي عند الباجي ؟

ـ كيف عالج أبو الوليد السلطة القضائية و ضبط الفتوى ؟

الدراسات السابقة :

أما فيما يخص الدراسات السابقة، لم تصادفنا دراسة بهذا العنوان، لكن هذا لا يعني عدم وجود دراسات مقاربة لمذكرتنا، و إن انصب أغلبها على الجانب العلمي و الاجتماعي و السياسي و العكس صحيح، و نذكر بعض الدراسات السابقة :

01 ـ مقال تحت عنوان : **المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف**، للباحثين : عادل علي الظهوري و نور الدين الصغير، صادر عن مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، مج 19، ع 1، مارس 2022م.

02 ـ أطروحة ماجستير تحت عنوان : **الحياة الاجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف**، للباحث :خميسي بولعراس، صادرة عن جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006 م ـ 2007 م .

03 ـ أطروحة دكتوراه تحت عنوان : **الاسهام العلمي لأبي الوليد الباجي فكرا و جدلا خلال القرن الخامس الهجري**، للباحث حبيب صبان، صادرة عن جامعة ابن خلدون، تيارت، 2022/2021م

04 ـ مقال تحت عنوان : **الإمام أبو الوليد الباجي(ت474هـ) و جهوده في خدمة المذهب المالكي أصولا وفروعا** ، للباحث بلاعدة العمري، صادر عن مجلة دراسات و أبحاث، ع 28 ، السنة 9، 2017م .

05 ـأطروحة دكتوراه في الفقه و أصوله تحت عنوان : **الاجتهاد المقاصدي عند الإمام أبي الوليد الباجي و تطبيقاته الفقهية من خلال كتاب المنتقى** للباحث فؤاد بن عبيد .

06 ـأطروحة ماجستير تحت عنوان :**أبو الوليد الباجي و دوره في الحياة العلمية و السياسية في الأندلس (403 ـ 474 هـ/1012 ـ 1081م**) للباحث خالد عبد مطلب محمود الجبوري صادرة عن كلية التربية ـ قسم التاريخ ـ جامعة تكريت، بغداد، 2010 م .

الصعوبات :

ـ لا يكاد أي بحث علمي يخلو من أي صعوبة تواجه الباحثين، إلا أن سيف الوقت حال دون دراسة جوانب أخرى للموضوع .

ـ شح المادة العلمية في الجانب السياسي، لأن معظم الدراسات التي تطرقت لهذه الشخصية العلمية ركزت على الجانب الديني، و أهملت الجانب السياسي و القضائي و الاجتماعي.

ـ الارتباطات العملية و الالتزامات الأسرية للطالبين، حالت دون التفرغ الكافي لانجاز هذه المذكرة .

المنهج المتبع :

تطلبت دراستنا لهذه المذكرة استخدامنا لأكثر من منهج من مناهج البحث العلمي المعروفة:

01 ـ المنهج التاريخي: وظفنا هذا المنهج في ترجمة شخصية الإمام أبي الوليد الباجي و بعض الأعلام و الشخصيات العلمية، كما استعملناه في سرد الأحداث و الأوضاع السياسية و الاجتماعية والعلمية .

02 ـ المنهج التحليلي بآلية الوصف: حيث اعتمدنا على وصف المادة العلمية، و استقصاء الأخبار من مصادرها المدروسة (ـ استقراء الأحداث المتعلقة بحياة الإمام الباجي ـ وصف الأحداث و الوقائع المسجلة من المصادر، كتب التراجم و الطبقات، مع تحديد الخصائص و المرامي و الأبعاد) .

03 ـ المنهج الاسترادادي : الذي استرجعنا من خلاله الأحداث الماضية (أحداث القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي لملوك الطوائف و جعل الصورة أقرب للعيان).

04 ـ المنهج التحليلي والمقارن: الذي به تتم المقارنة بين النصوص في سيرة الإمام أبي الوليد في جانب المولد و النشأة و المناظرات العلمية، و كذا انتدابه من عدمه للإصلاح بين ملوك الطوائف .

05 ـ المنهج النقدي :و به يتسنى فحص المادة العلمية خاصة في الفصل الثاني، و ما تعلق بقضية انتداب الأمير المتوكل لقاضيه الإمام الباجي .

ـ أهمية البحث :

ـ حاجة الأمة الماسة إلى إبراز نماذج و قدوات صالحة في المجتمع، مثل أبي الوليد الباجي حتى يقتدي بها أبناؤها، و بدورهم يستعيدون مجدها التليد .

ـ فيه بيان لمكانة و رفعة العلماء المجتهدين و جهودهم البناءة في خدمة أوطانهم و نحسب الإمام الباجي واحدا منهم و الذي يُعدّ رائد الاصلاح و داعية الوحدة و المصالحة .

ـ تسليط الضوء على جوانب من شخصية الإمام الباجي الفكرية، وكذا المرحلة التاريخية للقرن الخامس الهجري.

ـ سد الفراغ المعرفي الملحوظ في الدراسات التاريخية التي تناولت شخصية أبي الوليد الباجي، إذ لم نجد اهتماما كافيا من المترجمين لأمثال هؤلاء الأعلام الموسوعيين.

نقد المصادر و المراجع :

01 ـ المصادر التي اعتمدناها في مذكرتنا كثيرة و متنوعة أهمها:

أ / كتب التراجم و الأنساب:

ـ كتاب " جذوة المقتبس " للإمام أبي عبد الله محمد بن نصر الحميدي(420هـ ـ 488هـ) مؤرخ و محدث عاصر حقبة دويلات الطوائف، أخذ عن كثير من شيوخ الأندلس منهم أبي الوليد الباجي و ابن حزم الظاهري، صنف كتابه هذا بالعراق، فأعتبر من أصدق و أوثق المصادر التي تصور الأوضاع الاجتماعية و العلمية في عصر دويلات الطوائف، لذا اعتمدنا على مادته، في ذكر شخصية الباجي و نشأته و تكوينه العلمي و معرفة شيوخه، و أقرانه و تلامذته، و مكانته العلمية.

ـ كتاب "الصّلة في تاريخ علماء الأندلس": للمؤرخ خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري القرطبي المشهور بابن بشكوال (494 ـ 578هـ/1101 ـ 1183م)كتاب ترجم لأبي الوليد أفادنا كثيرًا في تقصي سير و حياة العلماء، و في ذكر و دراسة الأوضاع العلمية، و في تكوين الباجي و رحلته إلى المشرق.

ب / كتب التاريخ العام:

ـ كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" : لابن بسام أبي الحسن علي الشنتريني المتوفى سنة: (542هـ/ 1147م)، احتوى هذا الكتاب على تراجم علماء و أعيان عصر دويلات الطوائف، استفدنا منه فائدة جليلة، في دراسة الأوضاع السياسية و الاجتماعية و العلمية، بالإضافة إلى ذكر علاقة أبي الوليد الباجي بحكّام دويلات الطوائف، و دعوته إلى توحيد الاندلس.

ـ **كتاب '' نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب''** لأحمد بن محمد المقري التلمساني، توفي سنة (1041هـ / 1632م)، تكمن أهمية الكتاب في بحثنا أنه أمدنا بمادة مصدرية في كل جوانب البحث خاصّة في الجانب الفكري و الأدبي و الاجتماعي ، و تغطية جوانب مهمة من صلة الباجي بحكّام دويلات الطوائف، و دعوتهم لتوحيد البلاد ضد العدو النصراني.

ت / كتب الجغرافيا و الرحلات :

ـ **كتاب ''الروض المعطار في خبر الأقطار''**: لمحمد بن عبد المنعم الحميري توفي سنة (710هـ)، تكمن قيمته العلمية في أنه أمدنا بأسماء البلدان و مواقعها و أسماء مؤسسيها، فهو معجم جغرافي تاريخي يصف المناطق، و يذكر الأخبار و الوقائع المتصلة في أغلب أماكن الأندلس .

كتاب '' معجم البلدان'': لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى سنة (626هـ /1228م)، و الذي استفدنا منه في تحديد مجموع الأماكن و تعاريف بعض المواقع الجغرافية خلال فترة الدراسة.

ث / كتب المعاجم:

ـ **كتاب '' ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك''** لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المتوفى سنة (544هـ/ 1149م)، معجم يترجم للتابعين من أعلام المذهب المالكي، و من بينهم الإمام أبي الوليد الباجي، هذا الكتاب أعطانا ترجمة شاملة وافية عن الإمام الباجي و نشأته العلمية، مع إشارات وجيزة عن مناطق ارتحاله بالأندلس، و يعتبر هذا الكتاب من أغنى المصادر التي ترجمت لأبي الوليد، فاتسم بالمصداقية و الثقة في مادته المصدرية .

ـ **كتاب ''الحلة السيراء ''**لابن الأبار البلنسي توفي سنة (658هـ /1260م)، و هو معجم ضخم تضمن الكثير من الأدب و الشعر، وتناول أخبار المغرب و الأندلس من الفتح إلى منتصف القرن السابع الهجري، استفدنا منه في عديد من جوانب البحث، خاصّة في ذكر الفقهاء الذين عاشوا في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي و من بينهم الإمام الباجي.

02 ـ أهم المراجع المعتمدة في مذكرتنا و هي كالآتي :

ـ كتاب **"دولة الاسلام في الأندلس ــ العصر الثاني ــ دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي"**:محمد عبد الله عنان، أفادنا هذا المرجع كثيرا في معرفة الأوضاع العامّة للأندلس ، في الحقبة الزمنية المدروسة، غير أنه لم يتطرق كثيرا إلى المظاهر الحضارية و القضائية في الأندلس .

ـ كتاب **" مناظرات الشريعة الاسلامية بين الباجي و ابن حزم "** لعبد المجيد تركي، وظفنا هذا المرجع في إسناد أسس المناظرة الى أصولها، و الحيثيات الدائرة بين ابن حزم و الباجي .

ـ كتاب **" التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة "** لعبد الرحمن علي الحجي، الذي تعرض إلى قضية توحيد الأندلس من خلال دور ابي الوليد الباجي، في إطار مساعيه الإصلاحية، سياسيا، و علميا.

الخطة المتبعة:

من أجل دراسة هذا الموضوع، و اعطائه حقه من التحليل و التبيين اتبعنا المنهج التاريخي وفق تسلسل كرونولوجي، متبعين خطة بحث مكونة من مقدمة و فصل تمهيدي و فصلين و خاتمة .

المقدمة : أشرنا فيها الى طبيعة الموضوع في اطاره الزماني والمكاني و الاشكاليات المطروحة لغرض الاجابة عنها في محتوى هذا البحث .

الفصل التمهيدي: تطرقنا إلى الحقبة التي عاشها الإمام أبي الوليد الباجي، تحت عنوان الأوضاع العامّة بالأندلس في عصر الامام الباجي(السياسية و الاجتماعية و العلمية)،كما عرجنا على ترجمة شخصية أبي الوليد الباجي من خلال ذكر اسمه و نسبه و أسرته و نشأته و أخيرا وفاته .

الفصل الأول: تناولنا فيه النشاط العلمي لأبي الوليد الباجي في مبحثين، خصصنا في المبحث الأول حياة الإمام الباجي العلمية، حيث تطرقنا الى مراحل طلبه للعلم و رحلاته ثمّ الى أهم شيوخه و أقرانه و تلاميذه، و كما تطرقنا أيضا إلى مكانته العلمية و أقوال العلماء فيه، أمّا المبحث الثاني فإننا خصصناه لأهم آثاره العلمية من خلال مناظراته و محنته و مؤلفاته .

الفصل الثاني: سلطنا الضوء في هذا الفصل على جملة الاصلاحات، التي اشتغل عليها الإمام الباجي، و التي مست مجالات متعددة، متطرقين أولا الى الإصلاح السياسي، من خلال دوافعه، و دعوته لتوحيد الاندلس على المستوى القيادي و القاعدي، خلوصًا الى أهم أسباب فشل هذا الاصلاح، كما تناولنا بعده نشاط الباجي وإصلاحه العلمي و التربوي، معرجين الى ميادينه، و مراحله، وفي الأخير تطرقنا إلى الاصلاح القضائي من خلال توليه لهذا المنصب و محاولته اصلاح السلطة القضائية و ضبط الفتوى .

الخاتمة: هي عبارة عن حوصلة لنتائج موضوع بحثنا هذا، متبوعة بقائمة المصادر و المراجع المعتمدة، كما دعمناه بملاحق توضيحية تزيد من قيمة البحث علميا .

و في الأخير نتمنى أن نكون قد حققنا الأهداف المرجوة من خلال الاجابة على التساؤلات التي طرحت في المقدمة، و أن هذه الدراسة المتواضعة ما هي إلا خطوة من الخطوات نحو دراسة حياة أبي الوليد الباجي وابراز مكانته العلمية و الوقوف على أبرز آثاره، كما ننوه بأن هذا العمل يحتاج إلى مزيد من البحث و الإثراء. و الله الموفق للصواب.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي: عصر الإمام أبي الوليد الباجي و حياته:

أولا : الأوضاع العامّة بالأندلس في عصر الإمام الباجي .

01 ـ الأوضاع السياسية.

02 ـ الأوضاع الاجتماعية.

03 ـ الأوضاع العلمية و الفكرية.

ثانياً : ترجمة لحياة الإمام أبي الوليد الباجي :

01 ـ اسمه و نسبه .

02 ـ مولده .

03 ـ أسرته و نشأته .

04 ـ وفاته .

أولا : الأوضاع العامّة بالأندلس في عصر الإمام الباجي :

إن المقصود من وصفنا للأوضاع السياسية العامّة في الأندلس خلال عصر الإمام الباجي، هو الوقوف على الحالة السياسية التي عاشتها الأندلس ومدى تأثيرها على شخصية الإمام الباجي .

01/ الأوضاع السياسية :

تزامنت ولادة الإمام أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ـ رحمه الله ـ مع أواخر عهد الخلافة الأموية، ليعقبه بعده عهد ملوك الطوائف، عهدٌ مليء بالفتن و الاضطرابات، و التناحر و التطاحن بين هؤلاء الملوك حول شرعية الحكم، و الاقتتال و التنازع على السلطة و النفوذ، و التنافس على انتحال الألقاب السلطانية، و اقتطاع الأراضي و الأملاك، خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، الذي فقدت فيه الأندلس وحدتها السياسية، و انقسمت البلاد إلى كيانات سياسية مختلفة، و دويلات صغيرة متنازعة، أطلق عليها المؤرخون اسم "دويلات الطوائف"[1]، بلغت في مجموعها اثنين و عشرين دويلة و مملكة، و هذا ما أشار إليه المراكشي في قوله: ((و أمّا حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بني أمية، فإن أهلها تفرقوا فرقًا و تغلب في كل جهة منها متغلب))[2]، و يُعرف رؤساؤها بملوك الطوائف، و هم ما بين وزير سابق، و قائد من ذوي النفوذ و الصحب، و حاكم لإحدى المدن، و شيخ للقضاء، و زعيم من ذوي المال و الحسب[3]، حيث سعى عدد من حكام هذه الدويلات ليضم إلى ملكه ما تحت يد غيره[4].

(1) ـ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح : ج س كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1983م، ج3، ص ص 150 ـ 152.

(2) ـ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح : العريان محمد سعيد، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة ، ط1، 1368هـ /1949م، ص 52 .

(3) ـ محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس ـ العصر الثاني ـ دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4 ،1417 هـ / 1997م، ص 14 .

(4) ـ ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1965م، ج2، ص30 .

وملوك الطوائف هي فترة تاريخية في الأندلس، بدأت في حدود عام 422هـ لما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور[1] سقوط الدولة الأموية، في الأندلس، مما حدا بكُلِّ أمير من أمراء الأندلس لبناء دويلة منفصلة، و تأسيس أسرة حاكمة من أهله و ذريته[2].

وقد جسد أبو محمد بن حزم الظاهري، فساد حالِهم حيث قال متحسرًا ساخرًا : ((اجتمع عندنا بالأندلس في صقع واحد خلفاء أربعة، كل واحد منهم يخطب له بالخلافة بالموضع الذي هو فيه، وتلك فضيحة لم ير مثلها، أربعة خلفاء في مسافة ثلاثة أيام في مثلها، كلهم تسمى بالخلافة و إمارة المؤمنين[3])، فضلا عن ذلك انتحلوا الأوصاف و اقتسموا ألقاب الخلافة، و توزعوها لقوة استبدادهم عليها، بما كانوا من قبيلها و عصبيتها، فتلقبوا بالناصر و المنصور و المعتمد و المظفر و أمثالها و هي لا تنُم عن حالهم و سلطانهم الحقيقي[4] .

ولقد أحسن الشاعر أبو الحسن بن رشيق القيرواني[5]وصف أحوال الأندلس في تلك الفترة، منتقدًا انتشار ظاهرة تلقب ملوك الطوائف بألقاب الخلفاء و أسماء السلاطين فيقول :

ومما يزهدني في أرض أندلس * * * أسماء معتضد و معتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها * * * كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد[6]

(1) ـ هو أبو الحزم بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد يكنى أبا حزم، اتصف بالدهاء، و رجاحة العقل، و حسن التدبير، أصبح حاكمًا لقرطبة عام 422هـ بعد خلع الخليفة هشام المعتمد بالله، توفي عام 435هـ ، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، ط1، تونس، 2008م، ص ص 32 ـ 33 .و ينظر: المراكشي، المصدر السابق، ص 109 .

(2) ـ إيناس حسني البهجي، التاريخ السياسي للمسلمين في الأندلس (منذ عصر الولاة حتى عصر دويلات الطوائف)، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية، 2015م، ص323 .

(3) ـ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تح و تع : ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956 ، ص ص142 ـ 143.

(4) ـ عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح : خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 2001 م، ص 285 .

(5) ـ **هو أبو علي الحسن بن رشيق (ت 463هـ / 1070م)**: ولد بمدينة المسيلة، ثم ارتحل الى القيروان، و لما خربت هذه الأخيرة انتقل الى صقلية و استقر بها، ينظر: ابن سعيد الاندلسي، رايات المبرزين و غايات المميزين، تح : محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق، ط1، 1987 م، ص 249 . و ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، ص ص 85 ـ 86 .

(6) ـ المراكشي، المصدر السابق، ص70 . ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق ، ص 144، المقري، نفح الطيب من غصن الرطيب، تح : احسان عباس، دار دار صادر، بيروت، 1988م ،ج4 ، ص 255 .

كما أثارت هذه الظاهرة، حفيظة بعض مؤرخي الأندلس لتلك الحقبة، و منهم ابن الخطيب الغرناطي الذي استشاط غضبًا على تقلُد هؤلاء الملوك و الأمراء تلك الألقاب، و انتحالهم الأسماء السلطانية الفخمة و البراقة، و تنازعهم حول النفوذ و السلطان، فيقول :((... ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب، ولا في الفروسية نسب ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وانتحلوا الألقاب...)) [1]، وليس أبلغ تعبيرًا في وصف تلك الأوضاع السائدة في الأندلس، ما جاء على لسان الفقيه ابن عبد البّر المالكي، الذي عايش تلك الفترة حيث يقول : ((و انقطع ملك بني أمية بعد الأربعمائة بأعوام يسيرة، فصار كل من غلب على موضع ملكه، و استعبد أهله، و كثُر فيها الأمراء، فضعفوا و صاروا خولاً للنصارى، يؤدون إليهم أضعاف ما كان المسلمون يأخذون منهم اليوم)) [2] .

ويصف المقري في نفحه أحوال الأندلس في تلك الحقبة فيقول : ((وانقطعت الدولة الأموية من الأرض، و قامت الطوائف بعد انقراض الخلائف، وانبرى الأمراء و الرؤساء من البربر و العرب و الموالي بالجهات، و اقتسموا خطتها، وتغلب بعضٌ على بعض، واستقل أخيراً بأمرها منهم ملوك استفحل أمرهم وعظُم شأنهم .)) [3]

لقد أصبح الوضع العام في الأندلس عصر ملوك الطوائف مليئا بالاضطراب و المآسي الشديدة، و ذلك من خلال تصدع البناء الشامخ و انهيار أسسه، و تفتت المسلمون فيها تفتتاً لم يعهدوه في تاريخهم، و انقسموا انقساما لم يُعرف له مثيلا من قبل [4]، فكانت ضربة قاصمة لم تنهض الأندلس من آثارها قط [5] .

(1) ـ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 144 .

(2) ـ أبو عمر يوسف بن عبد البرّ، القصد و الأمم في تعريف بأصول العرب و العجم، طبعة القاهرة، 1350هـ، ص 35 .

(3) ـ المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 438 .

(4) ــ محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي، تاريخ و حضارة الأندلس، النظم الإدارية في اسبانيا الاسلامية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1433هـ/2012م، ص13 .

(5) ـ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 16 .

وعلى الرغم من كثرة هذه الدويلات، و تعدد طوائفها من عرب و بربر و موالي، إلاّ أنها كانت خاضعة لقوى و إرادة ثلاثة أحزاب كبيرة، يحاول كل واحد منها أن يستأثر بحكم الأندلس، و يبسط نفوذه و سلطانه عليها[1]، وهذه الأحزاب هي كما يلي :

الحزب الأول :و يمثله الأندلسيون[2] و هم الذين استقروا بالأندلس منذ فترة طويلة، و انصهروا في بوتقة الاسلام بمرور الزمن، بغض النظر عن أصولهم العربية أو البربرية أو الصقالبة أو الاسبانية النصرانية التي أسلمت و قد عرفوا بأهل الجماعة[3]، و من أهم زعمائهم بنو عبّاد (عرب) اللخميون، و مقرهم اشبيلية[4] و بنو جهور (بربر) في قرطبة[5] وبنو هود (عرب) الجذاميون في الثغر الأعلى[6] بسرقسطة[7] و بنو صمادح و بنو تجيب في المرية[8]، و بنو برزال في قرمونة[9]،

(1) ـ علي أحمد، تاريخ الاندلس السياسي والحضاري في العصور الوسطى، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، د ط ،2022م، ص 115 .

(2) ـ اختلف المؤرخون في نسبتهم، فمنهم من ينسب أصولهم الى العرب، و هو رأي الباحثين الشرقيين كرد فعل لموقف الباحثين الغربيين، خاصّة منهم الاسبان، الذين يرون أن الأندلسيين أصولهم اسبانية خالصة، و يعدون حضارة الأندلس انتاجاً إنسانياً خالصاً، و أما العرب الغزاة الذين غزوا الأندلس و استقروا بها قد ذابوا و انصهروا في البوتقة الاسبانية، و لم يعودوا عرباً في الأجيال المتلاحقة بعد جيل الفتح . ينظر : ليث سعود جاسم، ابن عبد البّر الأندلسي و جهوده في التاريخ، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، المنصورة، القاهرة، ط2، 1408هـ/1988م، ص 55 .

و الواقع أنّ الإسلام هو نسبهم الحقيقي، و أنه هو الذي احتواهم في بوتقته بعيداً عن القومية و العنصرية و العرقية، بل حتى الذين لم يسلموا من تلك العناصر، تأثروا بالسلوكيات و العادات و الأحكام الاسلامية، فمنهم من ترك شرب الخمور، و أكل لحم الخنزير، و التكلم باللغة العربية، بدل اللغة القومية. ينظر: عبد الرحمن علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، بيروت، ط2، 1981م، ص ص 143 ـ 143 .

(3) ـ أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي و الأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط ، 1972م، ص 465.

(4) ـ اشبيلية : مدينة أندلسية جليلة، بينها و بين قرطبة مسيرة ثمانية أيام، و هي مدين قديمة أزلية، يقال أن الذي بناها يوليش قيصر، ذات أسوار حصينة . ينظر: البكري، المسالك و الممالك، تح : أدريان فان ليوفن، اندري فيري، دار الغرب الاسلامي، د ط ، 1992م، ج2، ص ص902، 903 .

(5) ـ قرطبة: قاعدة الأندلس، و أم المدائن، مستقر الخلافة، دار الإمارة، فيما كان خلفاء بني أمية، و آثارهم بها ظاهرة، للمزيد ينظر: أبو الرشاطي و ابن الخراط الخراط الاشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار، و في اختصار اقتباس الأنوار، تح : ايميليو مولينا، المجلس الأعلى للابحاث العلمية، مدريد، 1990م، ص76. الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ج1، ص 456 .

(6) ـ الثغر الأعلى: هو الخط الدفاعي الأول في الشمال، يمتد على طول نهر الابرو " EBRO" قاعدته مدينة سرقسطة، يواجه مملكتي أراغون و برشالونة، في في شمال شرق اسبانيا، ينظر : أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط1، 2000م، ص14 .

(7) ـ سرقسطة : مدينة اندلسية و من أعظم مدائن الثغر الأعلى الاندلسي، تقع على ضفة نهر كبير يقال له ابرو " EBRO" و لها أسوار منيعة، و مبان رفيعو، حسنة المساكن، واسعة الشوارع ، ينظر: عماد الدين اسماعيل أبو الفدا، تقويم البلدان، دار الصادر، بيروت، د ط، ص 181.

(8) ـالمرية : مدينة بالأندلس محدثة، هي أشهر مراسي الأندلس و أعمرها، و من أجّل أمصارها و أشهرها، عليها سور حصين منيع، أمر ببنائها الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة 344هـ، و كان الناس يرابطون بها. ينظر : الحميري، المصدر السابق،ج1، ص ص 537 ، 538

(9) ـ قرمونة : مدينة أندلسية تقع شرق اشبيلية، على سفح جبل حصين و منيع، عليها سور يضاهي أسوار اشبيلية، كثيرة محصول الحنطة و الشعير، ينظر : الحميري، المصدر نفسه ، ص 461 . الشريف الادريسي، المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن، دن، د ط ، 1866م، ص203 .

و بنو نوح في مورور، و عبد العزيز بن عامر في بلنسية [1] و غيرهم[2] .

ـ **الحزب الثاني** :يمثله المغاربة من العرب و البربر، و هم الذين قدموا الأندلس حديثاً، و خاصّة أهل صنهاجة الذين استقروا بالأندلس على عهد المنصور بن أبي عامر[3]، و من أشهر زعمائهم بنو زيري[4]في غرناطة[5] و بنو حمود[6]في مالقة[7] .

ـ **الحزب الثالث** : يمثله الصقالبة [8]الذين سيطروا على شرق الأندلس، و استقروا بها، كانوا في الأصل عبيدا أو رقيقا من سبي الشعوب السلافية، الذين بيعوا إلى عرب الأندلس، و من أشهر زعمائهم مجاهد العامري[9]

(1)ـ بلنسية : مدينة في شرق الأندلس، بينها و بين قرطبة عن طريق بجانة ستة عشر يوما، و هي مدينة سهلة، كان الروم قد تغلب على بلنسية قديما ثم أحرقوها أحرقوها عند مغادرتها، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1988م، ص 47 .

(2) ـ أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، د ت ، ص255 .

(3) ـ المنصور بن أبي عامر: هو محمد بن أبي عامر، أمير أندلسي أيام خلافة هشام المؤيد بالله، كانت له همّة عالية في طلب و بلوغ معالي الأمور، لعب دورا بارزًا في استقرار الأوضاع الأمنية و استتبابها بعد وفاة المستنصر، تلقب بالحاجب المنصور، و هو الذي أسس الدولة العامرية بالأندلس، كان محبًا للعلم و العلماء، و تقريب الفقهاء، كما عُرف بجهاده و غزوه الروم، توفي رحمه الله سنة 393هـ/1002م بمدينة سالم. ينظر: الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح : ابراهيم الأبياري، دار اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1989م، ج1، ص 152 .

(4) ـ ترجع أصول بن زيري إلى فروع قبائل البرنسية الصنهاجية، الذين وفدوا المغرب من حمير باليمن، و عبروا إلى الأندلس مثل بقية العناصر البربرية. ينظر: بن بن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص265 . ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 263. ابن بلقين عبد الله، التبيان، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955م، ص 19 .

(5) ـ غرناطة : مدينة أندلسية قديمة، و هي أقدم مدن البيرة من أعمال الأندلس و أحصنها، تقع على نهر كبير يُعرف بنهر قلزم قديما، و الآن يُعرف بنهر حدّارة أوشنيل، و منه يُلقط سحالة الذهب الخالص، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د ط، ج 4، ص 195 . أيضاً حسين مؤنس، في تاريخ الجغرافيا و الجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، القاهرة ط2، 1986م، ص286 .

(6) ـبنو حمود: أصولهم عربية خالصة، و هم من سلالة الأمير أبي حفص عمر بن إدريس الثاني من مؤسسي دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، وعند الفتح الاسلامي للأندلس سنة 92هـ/711م كانوا مع الفاتحين و استقروا بها، كان اعتمادهم كله في تأسيس دولتهم على العناصر البربرية أو السودانية ، ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين، طبعة دار الشروق، الأردن، عمان، 1997م، ص 14 .

(7) ـ مالقة : مدينة بالأندلس عامرة، من أعمال ريّة، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء و المرية، و قد نسب إليها جماعة من أهل العلم ، منهم عزيز عزيز بن محمد اللخمي المالقي، و سليمان المعافري المالقي. ينظر : ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 43.

(8)ـ الصقالبة : عرب الأندلس هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم، ثم توسعوا في استعماله و أطلقوه على مواليهم الذين جلبوهم من مختلف مناطق أوروبا بما في ذلك شمال إسبانيا المسيحية، و لقد جاء معظمهم الى قرطبة أطفالاً صغاراً، تلقى الذكور منهم تربيةً عسكريةً إسلاميةً، و استخدموهم في خدمة القصر و الحرس و الجيش، و مع مرور الوقت ارتقوا في مناصب الدولة حتى صار منهم من كبار رجالات الدولة، كانت لهم مشاركات في أحداث الفتنة البربرية أواخر عهد الخلافة الأموية، أسسوا دويلات صغيرة مستقلة في شرق الأندلس. ينظر: أحمد مختار العبادي، في تاريخ العباسي و الأندلسي، المرجع السابق ص ص 466 ـ 467

(9) ـ مجاهد العامري : هو الموفق عبد الله بن يوسف بن علي العامري أبو الجيوش و هو من أصل رومي، و أحد موالي المنصور محمد بن أبي عامر، نشأ و ترعرع بقرطبة ، و حين عصفت بالأندلس نار الفتنة البربرية بقرطبة، انحاز الى شرق الأندلس و أعلن استقلاله و تغلبه على مدينة دانية سنة(402هـ/ 1011م)، توفي سنة(436هـ / 1044م) . ينظر : ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ق1، م1 ، 1417هـ/1997م، ص ص 22 ـ 24 .

(مملوك ابن أبي عامر) الذي استقل بمدينة دانية[1]، ثم استولى على جزر البليار[2] الشرقية، ثم غزا سردينيا و سواحل إيطاليا، و سيطرت أساطيله على غرب البحر المتوسط فترة من الزمن[3] .

و نظرا لكثرة هذه الدويلات و التفاوت فيما بينها من حيث الحجمُ و القوة و الضعف و سنقتصر على ذكر أهم و أبرز الممالك (الطوائف) و هي [4]:

- مملكة اشبيلية : تقع غربي الأندلس حكمها بنو عبّاد .
- مملكة غرناطة : تقع جنوبي الأندلس حكمها بنو زيري .
- مملكة سرقسطة : تقع في الثغر الأعلى حكمها بنو هود .
- إمارة قرطبة : تقع وسط الأندلس حكمها بنو جهور .
- مملكة طليطلة : تقع في الثغر الأوسط و حكمها بنو ذي النون .
- مملكة بطليوس : تقع في غرب الأندلس حكمها بنو الأفطس .
- مملكة بلنسية : تقع في شرق الأندلس حكمها الصقالبة .
- مملكة دانية و جزر البليار : تقع في شرق الأندلس في البحر المتوسط حكمها مجاهد العامري .
- مملكة المرية ، يضاف إلى ذلك ظهور بعض القواعد التي تستقل بنفسها و تقوم بها إمارات ثم تنهار، و هكذا كانت الممالك في تغير مستمر، بين الامتداد و التقلص، و كانت تتفاوت قوة و ضعفًا و أهمية و مساحة[5] .

لقد استطاعت تلك الأحزاب ، أن تنجح في تكوين دويلات مستقلة، و إمارات هزيلة و ضعيفة، بعيدة عن دعائم الوحدة و الاعتصام[6]،عملت على تكريس العصبية الطائفية، و الانقسامات السياسية، و الصراعات العسكرية

(1) ـ دانية : مدينة بشرق الأندلس، تقع على ضفة البحر، عامرة حسنة، لها ربض عامر، و عليها سور حصين، كثيرة شجر التين و الكروم، مشهورة بصناعة السفن . ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق ،ج1، ص ص 231 ، 232 .

(2) ـ جزر البليار : و هي أربعة جزر أكبرها ميورقة Mallorca ثم منورقة جزر باسة، أصغرها فرمنيراFarmmrtera التي تقع جنوب جزيرة يابسة، و تمتد تمتد بحذاء ساحل الشرقي من شبه الجزيرة الايبيرية تجاه سواحل دانية و شرق بلنسية و طرطوشة ينظر: اسماعيل أحمد جمال، دراسات في تاريخ الأندلس، الاسكندرية، د ط ، 2007م ، ص 73 .

(3) ـ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص 466 ـ 467 .

(1) ـ عادل علي الظهوري و نور الدين الصغير، المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، مج 19،ع 1، مارس 2022م، ص 118.

(5) ـ الإمام أبو الوليد الباجي، فصول الأحكام و بيان ما نص عليه العمل عند الفقهاء و الحكام، تح: محمد أبو الأجفان، دار ابن حزم بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/ 2002م، ص 16 .

(6) ــ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، مدريد،(معهد الدراسات الاسلامية، 1971)، ص 67 . و ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية ، القاهرة، د ت، ج5، ص ص 248 ـ 256 .

بين تلك الدويلات، و وصل بهم النزاع إلى أنهم كانوا يستغيثون بالعدو على إخوانهم المسلمين[1]، جعل منها فريسة سهلة ألفونسو السادس[2] .

في ظل تلك الأوضاع المزرية التي عايش آلامها الإمام الباجي معظم حياته، ترعرع و شب في وسط شقاق و فرقة و تطاحن ملوك الأندلس على السلطة، لم يدخر جهدًا في محاربة ذلك الوضع السيئ ببذله جهود مضنية في طلب العلم، و بعد عودته من رحلته المشرقية، عايش قلوبًا مازالت متفرقة، عمل على تأليفها في سفارته بين الملوك للتصدي للعدوان النصراني .

02 / الأوضاع الاجتماعية :

كانت للاضطرابات و الصراعات السياسية السيئة، التي سادت الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف، انعكاساتٌ سلبية على الأوضاع الاجتماعية، تمثلت في انتشار الكثير من مظاهر الفساد الاجتماعي و الانحلال الاخلاقي في المجتمع الاندلسي، و ذلك نتيجة إهمال الحكام و عدم تشديد رقابتهم على المجتمع و ما يحصل فيه[3].

فقد فشت الكثير من المنكرات و الآفات الاجتماعية، كالمجون و الخلاعة و الإسراف و التبذير في الانفاق على الشهوات، و الاستغراق في الملذات بمعاقرة الخمور، و عقد مجالس البذخ و الأنس للتسلية و النشوة بالمغنين، والإكثار من الفتيات و النساء و الجواري، و كانت هذه الظواهر القاسم المشترك عند أغلب ملوك الطوائف و بطانتهم[4]، و هم في ذلك مشتغلون بشرب الخمر و اقتناء القيان و ركوب المعاصي و سماع العيدان، فذل الرئيس و المرؤوس، و افتقرت الرعية، و فسدت أحوال المجتمع بالكلية، وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية[5].

(1) ـ إيناس حسني البهجي، المرجع السابق ، ص323 .

(2) ـ ألفونسو السادس: (أذفونش) ابن فرينلند الأول بن شانجة حكم قشتالة أكبر ممالك اسبانيا النصرانية في ذلك الوقت، خاض معارك ضد المسلمين في الاندلس، نجح في احتلال طليطلة عام: 478هـ/1085م . ينظر: ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص ص75 ـ 77 . و ابن عذاري، المصدر السابق،ج3، ص 232 .

(3) ـ موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ،نشأتها و تطورها، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 1971م، ص 52 .

(4) ـأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، الاشارة في معرفة الأصول و الوجازة في معني الدليل، تح: محمد علي فركوس، مكتبة المكية، دار البشائر الاسلامية، د ط ، ص21.

(5) ـ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص17 .

وبلغ الفسوق و المجون و الانحلال الخلقي داخل مجتمع الطوائف مبلغًا عظيمًا، لاسيما ملوكه و بطانتهم، الذين كانوا يجاهرون بالمعاصي، و يستخفون بأحكام الشريعة و الدين، وماتت الرجولة من أنفة و عزة و غيرة على الوطن و العقيدة، و كانوا مثالاً للخضوع و الخنوع و الانخذال[1] .

وفي هذا الإطار يصف لنا محمد عبد الله عنان، أحوال المجتمع الأندلسي في تلك المرحلة فيقول : ((و كانت مجتمعات الطوائف المرهفة المنحلة بهذه الروح الاباحية، تجنح و تميل الى اجتناء المتعة المادية، و الملاذ الحسية، بمختلف ضروبها، و كان هذا الانحلال الشامل يجتاح يومئذ سائر طبقات المجتمع الأندلسي[2]))، هكذا ساءت الأخلاق، و تغيرت الطباع، و أصبح التنافس على الموبقات على جميع المستويات، سواء ذلك في مجالس الملوك و الأمراء أو في دور الناس[3] .

و من مظاهر الترف و البذخ التي عمّت الأندلس أيام ملوك الطوائف، انتشار ظاهرة المغالاة في بناء القصور و المباني الفاخرة الخاصّة بين هؤلاء الأمراء و الملوك، و تزيينها بأغلى و أجود وسائل الزينة، و الهدف من وراء ذلك، هو إظهار تفوق كل حاكم و تمكنه من تجسيد ما عجز عنه غيره[4]، كالبناء الذي شيده و بناه المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، الذي أنفق أموالاً طائلة على قصره، جاعلاً في وسطه بحيرة يلهو بها مع جواريه[5] ، و في غرناطة كان قصر باديس بن حبُّوس[6]،الذي ليس في بلاد الاسلام و الكفر مثله[7].

كما كانت تلك القصور و المباني الفاخرة مأوى كثير من صور الترف و البذخ[8]، و لم تقتصر تلك المظاهر على قصور الملوك فقط، بل تعداه ليشمل قصور و مباني الأثرياء و الأغنياء، و حتى عامّة الشعب الأندلسي، حيث

(1) ـ الباجي، التعديل و التخريج لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح، تح: حسين أبو لبابة، دار اللواء للنشر و التوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 1986م، ص 25

(2)ـ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 425 .

(3) ـ خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006 ـ 2007 م، ص 62 .

(4) ـالمقري، المصدر السابق، ج 3، ص 353 .

(5) ـ المقري، المصدر نفسه، ج1، ص 528 .

(6) ـ هو باديس بن حبُّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ،من قواد البربر، تملك غرناطة، كان شديد القسوة و سفاكاً للدماء فيه عدل بجهل، حارب كل من المعتصم صاحب المرية و المعتضد صاحب اشبيلية للمزيد ينظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح : شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، ج 8، ص ص 590 ـ 591 .

(7) ـ المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 169 .

(8) ـ عبد الحليم عويس، التكاثر المادي و أثره في سقوط الأندلس، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1994 م، ص 230 .

وصلت تكلفة دور بعض أغنياء و أثرياء الأندلس مائة ألف دينار أو تزيد، كما كانت تجهز أفخر الأثاث و أثمنه[1]، و هكذا تفنن ملوك و أثرياء الاندلس في بناء و تشييد تلك القصور و المباني الفاخرة التي استنزفت أموالاً كبيرة[2].

و من مظاهر اللهو و الترف و المجون التي عرفتها الأندلس في تلك الفترة، انتشار مجالس الغناء و الطرب، فقد كان سوق الغناء و الموسيقى رائجاً بالأندلس، و في هذا السياق تُحَدِثُنا المصادر التاريخية عن شدّة تنافس ملوك الطوائف في اقتناء القينات الحسان، و الجواري البارعات في العزف و الطرب و الغناء، و كانوا يدفعون أموالاً طائلةً من أموال المسلمين المحصلة من الضرائب المفروضة على طبقات الشعب، من أجل إقامة مجالس الطرب في الليالي المقمرة[3]،و كان لكلِّ أمير أو وزير مجلس خاص به، لا يكاد يمر يوم دون أن يقام فيه غناء[4]حتى أنها شملت عامّة الشعب، فقد كانت مدينة مالقة، إذا جنّ عليها الليل قامت أوتار العيدان و الطنابير و المعازف من كل ناحية[5]،و كان هؤلاء الملوك و الأمراء طغاة قساة على رعيتهم، يسومونهم الخسف، و يثقلون كواهلهم بالفروض و المغارم لملء خزائنهم، و تحقيق ترفهم و بذخهم، و لم يكن ليردعهم عن ذلك رادع لا من الدين و لا من الأخلاق[6]، كما لم يرحموا عامّة الشعب من من خلال سياساتهم التعسفية، فتشردوا في كل مكان تاركين حرفهم، و أراضيهم الفلاحية، فتدهورت معيشتهم، و أرغموا على دفع الضرائب، فانتشرت الرشاوى، و عمّ الفساد، و انْتُهِبَت أموال العامّة، و انتشر الفقر في المجتمع، و الخوف في قلوب الأندلسيين، وظهرت الطبقية في المجتمع، فأبناء الوزراء يعيشون في الترف و التبذير، و العامّة من الشعب يتضوعون جوعاً، مما أدى الى انتشار السرقة في كل أنحاء البلاد[7]، و عمّت الفوضى، و انفلتت الأمور، و لم يبق في الأندلس من يأمن على بيته و رزقه[8].

(1) ـ ابن بسام، المصدر السابق ، ق3 ، م 1، ص ص 17 ـ 18 .

(2) ـ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 62 .

(3) ـ الباجي، الإشارة، المصدر السابق، ص 26 .

(4) ــ فايز عبد الغني فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1408هـ / 1989م، ص 43 .

(5) ـ بشار بن برد العقيلي، المختار من شعر بشار اختيار الخالدين، شرحه : أبو الطاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي البرقي، تح : محمد بدر الدين العلوي (الهند، عليكره)، ص 14 .

(6) ـ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 419 .

(7) ـ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 303 .

(8) ـ سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية، د ط، 1979م، ص 119.

كما برزت ظاهرة إقبال الكثير من الأسر الحاكمة و المحكومة على الزواج من النصرانيات، و الذي ترتب عن ذلك الخضوع المطلق لأهدافهن السياسية، و التحكم في مجريات الأحداث السياسية، ولاسيما بنات أمراء النصارى و ملوكهم، ويبدو أن ذلك راجع لضعف الوازع الديني لدى أمراء و ملوك الطوائف، وسوء التقدير لعواقب الأمور[1].

كما تحصلت بعض العوائل اليهودية على مناصب مهمّة ووظائف حكومية متمثلة في جباية الأموال و كتابة الدواوين، حيث كانوا وراء كل مؤامرة أو دسيسة مدبرة على حساب المسلمين[2].

و في ظل تفشي هذه الانحرافات و تلك الآفات الاجتماعية داخل المجتمع الأندلسي، برزت مواقف مشرفة، و دعاوى جادة، من فئة صالحة من العلماء و الفقهاء و رجال الفكر و العلم، كالإمام أبي الوليد الباجي، و ابن حزم وابن عبد البّر وغيرهم، وتعالت أصواتهم منددة ضد هذا الباطل و الطغيان[3] ، فوقف هؤلاء العلماء بالمرصاد لأولئك المنحرفين المحاربين للفطرة السليمة، و درعًا لحماية الدين و عونًا للمجتمع و حمايته من الذين أمّرتهم أنفسهم بالسوء[4].

و على الرغم من أن هؤلاء العلماء كانوا مغلوبًا على أمرهم، لعدم مجاورتهم التيار الاجتماعي العاصف بكل القيم، إلاّ أنّهم لما واتتهم الفرصة السانحة، تحركوا لوضع حدّ لهذا الفساد المنتشر، فقد أفتوا لابن تاشفين[5] بدخول الأندلس و إزاحة كابوس ملوك الطوائف خدمة للإسلام و المسلمين[6] .

إن الأوضاع الاجتماعية في الأندلس لا تختلف عن الأوضاع السياسية المتردية، فقد تفشى في المجتمع الأندلسي الانحلال الخلقي، و ظهر الفساد على جميع المستويات، و انتشرت المنكرات، و عمّت الآفات الاجتماعية سائر أرجاء البلاد، و كثُرت مجالس اللهو و الغناء و الطرب و المجون و شرب الخمور، و هذا مرده و سببه، ضعف الوازع الديني، والابتعاد عن أحكام الشريعة و قيم الدين الاسلامي.

---

(1) ـ ابن الأبار، المصدر السابق، ص 54 .

(2) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 21 .

(3) ـ ابن الخطيب، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 231 .

(4) ـ خالد محمود عبد الله ، أحمد صالح محمد، دور العلماء في الحياة الاجتماعية في عهد الموحدين، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية ، مج 3 ، ع 10 ، ص 240.

(5) ـ يوسف بن تاشفين : من أشهر سلاطين المرابطين، و مؤسس مدينة مراكش المغربية، أول من لقب بأمير المسلمين، و غزا الأندلس و أنتصر في موقعة ((الزلاقة)) الشهيرة سنة 479هـ، و قضى على ملوك الطوائف، توفي سنة 500هـ /1106م، للمزيد، ينظر: خير الدين الزِرِكْلي : الأعلام، دار الملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، 2002م، ج 8، ص 222 .

(6) ـ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، التعديل و التخريج لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح، تح : حسين أبو لبابة، دار اللواء للنشر و التوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية ،، ط1 1986م، ج1، ص26.

03/ الأوضاع العلمية و الفكرية:

على الرغم ما شهده عصر ملوك الطوائف في الأندلس من تقهقر سياسي، و انحراف اجتماعي، وانحلال أخلاقي، إلاّ أنّه كان من أَجَّلِ و أزهى العصور الحضارية و العلمية للأندلس، حيث لاقت الحركة العلمية كل التشجيع و الرعاية، و أصبحت بلاطات ملوك الأندلس في كل المدن، ملتقى للشعراء و الأدباء و المفكرين و العلماء و الفلاسفة و الأطباء[1]، و لم يكن لهذا أن يتحقق، لو لا أن تضافرت جملة من العوامل ساهمت في انتشار الحركة العلمية و وفرة انتاجها[2].

يأتي على رأس هذه العوامل، تقاسم ملوك الطوائف للميراث المعرفي و العلمي الضخم الذي خلفه الخلفاء الأمويون في عصر الإمارة و الخلافة، فكان بذلك قاعدة، انطلق منها ملوك الطوائف في تجسيد عمليات الفعل الثقافي، و توظيف ذلك التراث الهائل في توسيع حركة الفكر[3]، خصوصًا خلال فترة حكم عبد الرحمن الناصر (300 ـ350هـ /912م ـ961 م) و ابنه الحكم المستنصر بالله (350 ـ 366هـ / 961 ـ 976م)، اللذين كانا يوليان العلم و الثقافة حظًا موفورًا من العناية والاهتمام تمثل في اجتذاب العلماء، و اقتناء الكتب، و توجيه حركة التأليف و الترجمة، و تشجيع القائمين عليها من علماء المسلمين و النصارى[4].

لقد كانت مؤلفات الأندلسيين في عصر الخلافة مصدرًا هامًا للحركة العلمية في عصر ملوك الطوائف، إذ أن معظم محفوظات و كتب مكتبة الخليفة الحكم المستنصر بالله[5] قد بيعت بأبخس الأثمان في أسواق الأندلس، مما أدى إلى إقبال النّاس على اقتنائها و قراءتها في سائر المدن الأندلسية، بعد أن كانت حبيسة في مكتبات قرطبة الضخمة، وحكرًا على أصحابها[6]،و تنافس محبو العلم والمعرفة من أهل الأندلس في جلب واقتناء ما استطاعوا من تلك

(1)ـ ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، تر: دوقان قرنوط، دار مكتبة الحياة ، بيروت، د ط، د ت، ص 24 .

(2) ـ عبد الرحمن حجي، المرجع السابق، ص 412 .

(3) ـ خميسي بولعراس، المرجع السابق ، ص 119 .

(4) ـ الوراكلي حسن، ياقوتة الأندلس دراسات في التراث الاندلسي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، د ط ، 1994م ، ص13 .

(5) ـ تعتبر المكتبة التي أنشأها الحكم المستنصر بالله (ت 366هـ ـ 976م) من أعظم مكتبات العصور الوسطى، حيث بلغ عدد فهارسها أربعة وأربعين فهرسة ، في كل فهرسة عشرون ورقة، فيها أسماء الدواوين فقط ، ووصل عدد الكتب بها حوالي أربعمائة ألف مجلد. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 175. المقري، المصدرالسابق،ج1، ص ص 184ـ 186. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 314 .

(6) ـ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 120 .

الكتب[1]،كما تنافس ملوك الطوائف في اقتناء الكتب النفيسة و النادرة [2] وهكذا أصبح الاهتمام بالمكتبات في سائر المدن الأندلسية أمرًا ملحوظًا و لافتًا للنظر[3]، و اندفع كثير من المثقفين إلى اقتناء الكتاب و إنشاء مكتبات خاصّة بهم في سائر المدن الاندلسية[4]، الأمر الذي جعل البلاد تعج بمختلف العلوم و الآداب و الفنون[5].

وهكذا عَظُم شأن جمع الكتب و إنشاء المكتبات، سواء من أجل العلم أو من باب التباهي و التفاخر[6]، حتى صار يقال: فلان عنده خزانة كتب، و الكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره، و الكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله و ظفر به[7].

و من الذين اشتهروا، و ذاع صيتهم في اقتناء الكتب و انشاء المكتبات، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، أبو جعفر أحمد بن عباس، وزير زهير العامري، الذي يُعّد من أشهر هواة جمع الكتب، يقال أن مكتبته العظيمة كانت تحوي أكثر من أربعمائة ألف مجلد[8] فكان عنده من الكتب ما لم يكن عند ملك من الملوك[9] ، و مجاهد العامري (400 ــ 436 هـ/1009 ــ 1044 م) الذي كانت خزانة مكتبته تحوي كتُبًا جمّة[10] ، و المظفر بن الأفطس (427 ـ 461 هـ / 1045 ـ 1067 م) كان يملك خزائن ضخمة مليئة بالكتب[11]،

و هكذا عُرفت ظاهرة اقتناء الكتب و جمعها، و ذيوع المكتبات العامّة و الخاصّة و كثرة انتشارها، و التي كان لها تأثير ايجابي في ازدهار الحركة العلمية في عصر ملوك الطوائف[12].

(1) ـ يخلف حاج عبد القادر، الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي، رسالة ماجستير ـ قسم التاريخ ـ جامعة وهران، 2008م ـ 2009م، ص 72 .

(2) ـ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 436 .

(3)ـ إحسان عباس، المرجع السابق، ص 46 .

(4) ـ ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، 1967م، ص 264 .

(5) ـ ابن عذاري، المصدر السابق، ص ص 155 ـ 156 .

(5) ـ المقري، المصدر السابق، ج 2، ص 9 .

(7)ـ دويرار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138 ـ 422 هـ)، مطبعة الحسين الاسلامية، الازهر، ط1، 1994م، ص 384 .

(8)ـ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 436 .

(9) ـ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح : محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م ،ج1، ص 259 .

(10) ـ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 130.

(11)ـ ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1، ص 640. فايز القيسي، المرجع السابق، ص63 .

(11) ـ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 436 .

ومن الصفات المثيرة التي كان يتصف بها الكثير من ملوك الطوائف، أنهم كانوا حماة العلم و الآداب، و أن معظمهم كانوا بحق من كبار الأدباء و الشعراء و العلماء الذين يشار إليهم بالبنان، و كانت قصورهم منتديات عامرة، و مجامع للعلوم و الآداب و الفنون، كما حفل ذلك العصر بجمهرة كبيرة من العلماء و الكتّاب و الشعراء الممتازين[1].

لقد عُرفوا بحبهم للعلم و اهتمامهم و رعايتهم للعلماء و تشجيعهم للآداب، حيث أن كل ملك منهم يحاول جاهدًا، أن يجعل من مملكته ملاذًا و محجةً للعلماء و الأدباء[2]، كما أصبح كل واحد منهم يتباهى و يتفاخر بما عنده من العلماء و الأدباء و الشعراء، و غدت بذلك قصورهم مدنا عامرة بالعلم و الأدب[3] .

و تُشيد كتب التاريخ بمكانة الأمير مجاهد بن عبد الله العامري (ت 436هـ) صاحب دانية و بلنسية و الجزائر الشرقية، الذي وصفه لسان الدين بن الخطيب بأنه كان « يباين سائر ملوك زمانه بخِلَال من الفضل من أشّفها العلم و المعرفة، اللذان لم يكن في الأحرار و لا في الموالي، أثبت قدمًا منه فيهما، و قد شاع العلم في حضرته حتي فشا في جواريه و غلمانه »[4]، و يقول عنه ابن عذاري أنه كان : « ذا نباهة و رياسة زاد على ملوك الطوائف بالأنباء البديعة و العلم و المعرفة و الأدب، فكان يعقد مجلسه و يقصده العلماء و الفقهاء من المشرق و المغرب للمناظرة بين الأدباء و الفقهاء ... و ألفوا له التأليف المفيدة في سائر العلوم ، فأجزل صلاتهم على ذلك بآلاف الدنانير »[5].

و كان من أشهر العلماء الذين اجتمعوا ببلاطه، أبو عمرو بن سعيد الداني المقرئ (ت 444 هـ)، و أبو عمرو يوسف بن عبد البّر الأندلسي (ت463 هـ)، و إمام اللغة، صاحب كتاب المحكم ابن سيدة علي بن أحمد بن اسماعيل و غيرهم[6].

و أما المعتصم بن صمادح أمير المرية، فكان من المهتمين بأمور الدين، و إقامة الشرع الحكيم، و كان يعقد المجالس العلمية بقصره للمذاكرة و المدارسة، و يجلس كل يوم جمعة الى الفقهاء و الخواص، فيتناظرون بين يديه في العديد

(1)ـ محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص 423 .

(2)ـ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 128 .

(3)ـ المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 206 .

(4)ـ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، المصدر السابق، ص ص 217 ـ 218 .

(5) ـ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص ص 155 ـ 156 .

(6)ـ الباجي، التعديل و التخريج، المصدر السابق، ج 1، ص 28 .

من المسائل، كالتفسير و الحديث، و قد لزم حضرته فحول الشعراء و كبار الأدباء، كابن حداد و ابن عبادة[1] و قال عنه ابن خاقان :« لم تَخْلُ أيامه من مناظرة، و لا عمرت إلا بمذاكرة أو محاضرة . »[2]

أمّا المظفر بن الأفطس (427 ـ 461 هـ / 1045 ـ 1067 م) صاحب بطليوس[3]، كان رأسًا في العلم و الأدب و الشجاعة و الرأي[4]، وصفه ابن بسام بقوله : « كان أديب ملوك عصره من غير مدافع و لا منازع، له التصنيف الرائق، و التأليف الفائق، المترجم بالتذكرة، و المشتهر اسمه أيضًا بكتاب المظفري في خمسين مجلدا، يشتمل على فنونٍ و علومٍ و مغازٍ و سيرٍ و مُثلٍ و خبرٍ و جميع ما يختص به علم الأدب[5].» ، وكان يعقد في قصره مجالس للعلم و المذاكرة، و يخوض مع العلماء في مدارسة الأدب و الفنون و المعارف المختلفة إحياءً للعلوم و تنويرًا للأذهان[6]، و كان كان يحضر العلماء للمذاكرة فيفيد و يستفيد[7] .

أمّا المعتضد بالله عبّاد بن محمد بن اسماعيل(ت 461 هـ) صاحب اشبيلية فإنه يُعدّ من أهل الأدب البارع و الشعر الرائع، و المحبة لذوي المعارف، و كان له في رئاسته هيبة عظيمة و سياسة بديعة، وكان لأهل العلم و الآداب في بيت بني عباد، سوق نافقة و لهم همم عالية[8] ، كما كان أبناؤه و ذووه شعراء و رياض آداب و علوم[9] .

أما ابنه المعتمد بالله بلا ريب هو من أعظم شعراء عصر ملوك الطوائف[10] له في الأدب باع و ساع، ينظم و ينثر، و في أيامه نفقت سوق الأدب، فتسابقوا إليه و تهافتوا عليه[11]، إذ اجتمع له من الشعراء و أهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس[12]، من أمثال ابن زيدون، و ابن عمار، وابن اللبابة، و ابن حمديس الصقلي،

(1) . خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 131 ، إحسان عباس، المرجع السابق، ص57 .

(2) ـ ابن خاقان الاشبيلي، قلائد العقيان و محاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1409هـ/ 1989م، ج1، ص 146

(3) ـ بطليوس"bagados": مدينة كبيرة بالأندلس، تقع على الضفة اليمنى لنهر آنة غربي قرطبة، لها أقاليم و حصون كثيرة، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذن الأمير له، و هي تقع في الغرب الجنوبي من اسبانيا، حيث تبعد 600كلم عن العاصمة مدريد للمزيد ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 46 .ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص447 .

(4) ـ الذهبي، المصدر السابق، ج 8 ، ص 594 .

(5) ـ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح : عبد السلام الهراس، دار الفكر، د ط، 1415 هـ/1995 م، ج1، ص 318 .

(6) ـ هاجر بوباية، فاطمة بلهواري، الحركة العلمية في الأندلس على عهد ملوك الطوائف (422 ـ 483هـ / 1031 ـ 1090 م)، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، مج 16 ، ع 23، اغسطس 2016 ، ص ص 303 ـ 312 .

(7)ـ آنْخِيل جنثالث (بالنثيا)، تاريخ الفكر الأندلسي، تح : حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د م ، د ط ، د ت ، ص 118.

(8)ـ الضبي، المصدر السابق، ج2 ، ص 515 .

(9) ـ الباجي، المصدر السابق، ج1، ص 27 .

(10) ـ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 425 .

(11) ـ ابن الأبار، الحلة السيراء ، المصدر السابق، ج2، ص 55 .

(12) ـ المراكشي، المصدر السابق، ص 77.

و عبادة القزاز، و عبد الجليل بن وهبون، وغيرهم كثير[1]، و بلغ من شغف المعتمد بتقريب الشعراء و الأدباء، و ملازمتهم بلاطه، تلك المساعي و المحاولات الجادة في اجتذاب و استقطاب الشاعرين و الأديبين أبو العرب الزبيري من صقلية، و أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري من القيروان، و ارسال لكل منهما رسالة يستدعيه إلى بلاطه، و معها خمسمائة دينار[2].

كما نشطت في ذلك الوقت المناظرات العلمية، و المساجلات الشعرية، والمسامرات بين هؤلاء العلماء و الأدباء و المفكرين، في قصور الملوك، كتلك التي قامت بين ابن عريف و ابن شهيد، و الزبيدي و القسطلي[3] .

يبدو أن اهتمام ملوك الطوائف بالحركة العلمية، و تشجيعهم للعلماء و الأدباء و الشعراء، كان له الأثر البالغ في دفع المسيرة العلمية الى الأمام و العمل على تطويرها، حتى غدت قصورهم مراكز للعلم و الثقافة [4] .

لقد كان عصر ملوك الطوائف حافلا بنشاط علمي و أدبي و ثقافي وفير، إذ انتشرت المدارس و المراكز الثقافية في شتى الحواضر الأندلسية، و عمّت المكتبات العامّة و الخاصّة أرجاء البلاد، ونمت المعارف المختلفة، وبرزت قمم علمية موسوعية في سماء الثقافة الاندلسية، وعلت شهرتهم في الآفاق، و تألقوا في شتى دروب العلم و المعرفة، من أبرزهم الإمام أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، الذي ذاع صيته شرقًا و غربًا، واشتهر اسمه كعالم من علماء الاسلام و فقيه أصولي و مناظر مجادل، لا يشق له غبار، بلغت الحركة العلمية و الفكرية على أيديهم أوج ازدهارها و تطورها، و ذلك من خلال تلك الآثار القيمة التي تركوها، والجهود الجبارة التي بذلوها و التي تمثلت في كثرة المصنفات و المؤلفات، ووفرة المصادر في شتى العلوم و المعارف، و شيوع المناظرات العلمية بين الفقهاء، والمساجلات الشعرية بين الشعراء و الأدباء، و كل هذا كان تحت رعاية ملوكهم، فضلاً عن تنقلات العلماء إلى مختلف حواضر الأندلس لنشر علومهم، و بث معارفهم[5] .

وفي ظل تلك البيئة العلمية المزدهرة التي كانت تسود عصر الإمام الباجي، لم يُفَوِت إمامنا على نفسه فرصة الاستفادة منها، فلقد بذل جهودًا حثيثةً، ومساعي جبارة من أجل تحصيل العلوم والمعارف، خلال مراحل طلبه للعلم

(1) ـ إحسان عباس، المرجع السابق، ص 60 .

(2) ـ البشري سعد عبد الله، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1986م ، ص 131 .

(3) ـ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 129 .

(4) ـ خالد عبد مطلب محمود الجبوري، أبو الوليد الباجي و دوره في الحياة العلمية و السياسية في الأندلس (403 ـ 474 هـ/1012 ـ 1081م) رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية التربية ـ قسم التاريخ ـ جامعة تكريت، بغداد، 2010 ، ص 41 .

(5) ـ الباجي، الاشارة في معرفة الأصول، المصدر السابق، ص 24 .

على يد علماء أفذاذ، سواءً داخل الأندلس أو أثناء رحلته العلمية المشرقية، فأصبح بعد عودته من المشرق، أحد أبرز علماء الأندلس، ومن المساهمين في نشر العلم والمعرفة، ودفع بالحركة العلمية نحو التطور والرقي على جميع المستويات، سواء من حيث التدريسُ في الحلقات، أو كتابة المؤلفات، أو مناظرة العلماء و الفقهاء، إلى جانب دعوته الإصلاحية و مساعيه للوحدة ضد الأعداء المتربصين .

ثانياً : ترجمة حياة الإمام أبو الوليد الباجي :

01 ـ اسمه و نسبه :

هو الإمام سليمان ابن خلف بنِ سعد[1]بن أيوب بن وارث، التُّجِيبي، التميمي، القرطبي، البَطَلْيوسي، الذهبي، الباجي، الأندلسي، القاضي المالكي، المكنى بأبي الوليد[2] .

فالتجيبي : نسبة إلى قبيلة "تجيب" العربية، و هي بطن من بطون كندة[3]، سموا باسم جدتهم العليا، تدعى تُجَيْب بنت ثوبان بن سُلَيْم بن رُهَاء من بني مَذْحِج، و كان أول من نزل أرض الأندلس هو عمير بن أبي المهاجر مع جنود جيش الفاتحين، ثم زاد نسلهم، وكثُر عددهم فاستقروا ببطليوس و هو موطن أجداد أبي الوليد الباجي[4] .

أمّا التميمي: فنسبة إلى بني تميم بن مر بن أدبن طابخة، وهم من أكبر بطون العرب [5]

(1)ـ تربو المراجع التي ترجمت للإمام الباجي عن نيف و أربعين مرجعا، كلها تتفق و تُجْمِعُ على كنيته و اسمه و اسم أبيه ، و لكن وقع الخلاف في التحقيق، في اسم جده، فالذي عليه الجمهور هو اسم " سعد " و ذكره الإمام الذهبي في كتابه ، تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ص1178 ، باسم سعيد ، و تبعه الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه، طبقات الحفاظ راجع نسخته، لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1402هـ/1983م، ص 439 ، و ذكره القاضي عياض بن موسى اليحصبي في كتابه، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضب و صح، محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/ 1989م، ج2، ص 347 باسم سعدون، و أورده عزالدين ابن الأثير الجزري في، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، ج1، ص 103 باسم أسعد .

(2)ـ الباجي، المصدر السابق ص 29 .

(3)ـ كندة في عرف النسابين قبيلة من قبائل قحطان، تنسب إلى ثور بن عفير بن عدي بن حارث، و ينتمي إلى كهلان، و قيل أنه لقّب بذلك لأنه كند أي كفر نعمة أباه ، و بلاد كندة بحضر موت . ينظر: عبد الله بن مرعي بن محفوظ الكندي، كندة و دورها في الجزيرة العربية، مؤسسة كندة للنشر و التوزيع، جدة، ط1، 1421هـ/2000م، ص69 .

(4) ـ الباجي، المصدر السابق، ص29 .

(5) ـ الباجي، المصدر نفسه، ص 29 .

أمّا القرطبي: فنسبه إلى مدينة قرطبة "**Gordoba** " نُسِبَ إليها الإمام الباجي بعد انتقاله مع أسرته من باجة الأندلس إلى قرطبة[1] .

أمّا البَطَلْيوسي: نسبة إلى مدينة بطليوس[2]، و هي موطن أجداد أبي الوليد الباجي و احد ديارهم[3].

أمّا الذهبي : نسبة إلى المهنة التي كان يشتغلها الإمام الباجي وهي ضرب ورق الذهب للغزل[4]، و ذلك إثر عودته من رحلته العلمية الطويلة من المشرق، بسبب حالته الاجتماعية الضيقة، فكان يتولى ضرب ورق الذهب للغزل والإنزال[5] .

أمّا الباجي : فنسبة إلى باجة[6]، و قد نسب إليها الإمام الباجي بعد مغادرة أجداده من بطليوس إليها[7].

أمّا الأندلسي : فنسبة إلى بلاد الأندلس التي افتتحها المسلمون بقيادة موسى بن نصير و طارق بن زياد أيام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة 92هـ[8] .

من خلال هذه السلسلة النسبية يتبين لنا أن الإمام الباجي ذو نسب عربي أصيل يرتبط بقبيلة كِنْدَة العربية القحطانية، فهو عربي الأصل، أندلسي المولد و المنشأ، مشرقي التكوين و الثقافة.

02 ـ مولده:

لقد اختلفت أقوال المترجمين و اضطربت في تحديد تاريخ ميلاد الباجي، و كذا في مكان مسقط رأسه، فمنهم

(1) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 30 . ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص ص 324ـ325 . الحميري، روض المعطار، المصدر السابق، ص456 .

(2) ـ سبق ترجمة مدينة بطليوس في الصفحة 20 .

(3) ـ ابن فرحون المالكي، الديباج المذّهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ ـ 1996م، ص 197 .

(4) ـ ضرب ورق الذهب للغزل : معناه طرق صفائح الذهب و جعلها خيوطاً ذهبية تستخدم في نسيج الثياب أو تزيينها، ينظر: جاسم سعود ليث، المرجع السابق، ص 157 .

(5) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 349 .

(6) ـ باجة "beja": مدينة أندلسية شهيرة من أقدم مدن الأندلس بنيانا و أولها اختطاطا، انتهى إليها يوليوس قيصر و سماها باجة و تعني" الصلح" بلغة العجم، هي تقع اليوم في دولة البرتغال على بعد 140كلم إلى الجنوب الشرقي من لشبونة .ينظر: الباجي، فصول الأحكام، المصدر السابق، ص22 . الحميري، المصدر السابق، ص 75 .

(7) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 30 .

(8) ـ الباجي، المصدر نفسه، ص 31 .

من ذهب بالقول أنه ولد يوم الثلاثاء 15 من ذي القعدة سنة 403هـ الموافق لـ 27 ماي 1013م[1] و منهم من يقول أنه وُلِدَ سنة 404هـ و هو ما ذهب إليه ابن عساكر[2]،و هناك قول آخر، يقول أنه وُلِدَ سنة 402هـ 402هـ و هو ما مال إليه آنجل جنثالث (بالنثيا)، الباحث والمحقق الاسباني[3].

من خلال رصدنا لهذه الأقوال، يمكن القول بأن الراجح من هذه الأقوال هو القول الأول الذي ذهب إليه جمهور المترجمين، استناداً لما رواه تلميذه أبو جعفر أحمد بن غزلون الأموي الأندلسي التطيلي: قال: سألت الباجي عن مولده فقال: ولدت سنة أربع و أربعمائة ، قال أبو جعفر :«**ثمّ رأيت بعد ذلك تاريخ مولده بخط أمّه و كانت فقيهة : ولد ابني سليمان في ذي الحجة سنة ثلاث و أربعمائة** »[4]. وعليه فتاريخ ميلاده كان مقيداً من طرف والدته، فشهادتها مقدمة على الغير، فلا يتصور ولا يعقل بأي حال من الأحوال أن تنسى والدة تاريخ ولادة فلذة كبدها، فضلاً عن كونها عالمة و فقيهة، ومن جهة أخرى نقل أبو علي الغساني، وهو أحد الطلبة الملازمين للباجي سماعًا عن شيخه حيث يقول:سمعت أبا الوليد الباجي يقول: « مولدي في ذي القعدة سنة ثلاث و أربعمائة .»[5] و روى ابن بشكوال أنه أنه قرأ بخط شيخه القاضي محمد ابن أبي الخير قال:«ولد يوم الثلاثاء في النصف من ذي القعدة سنة ثلاث و اربعمائة »[6].

أمّا بخصوص مكان ميلاده فلا خلاف بين علماء التراجم في أن أصل آبائه من مدينة بطَلْيوس[7] و لكن محل الخلاف في مسقط رأسه، هل كان في هذه المدينة أم في غيرها؟ فنتج عن ذلك الخلاف، أن تباينت الآراء على النحو الآتي:

(1) ـ بن كثير، البداية و النهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الهجر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1، 1419هـ ـ 1998م، ج16 ،ص80 . محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، د ط، ص121. المقري، المصدر السابق، ج 2، ص 67 . ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص 409 . القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص351. الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ / 2000م، ج 15، ص 230 .

(2) ــ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د ط، 1415هـ/ 1995م، ج 22، ص 226.

(3) ـ آنْخِيل جنثالث ، المرجع السابق، ص 424 .

(4) ــ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: رياض عبد الحميد مراد، دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، دمشق، ط 1، 1406هـ / 1986م، ج10، ص 115 .

(5) ـ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1،ص 319 .

(6) ـ ابن بشكوال، المصدر نفسه ، ج1، ص 320 .

(7) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 347 .

القول الأول : أن مسقط رأسه بمدينة بَطَلْيوس، ثمّ رُحّل في صباه إلى باجة ثمّ إلى قرطبة، و هوما ذكره ابن خِلّكان[1] .

القول الثاني: أن مسقط رأسه بقرطبة، و أصله من بَطَلْيوس، ثمّ انتقل أجداده إلى باجة الأندلس، و منها إلى قرطبة و هو ما ذكره ابن بشكوال[2].

القول الثالث : و هو قول جمهور المترجمين، أن مسقط رأسه بباجة الأندلس بعد انتقال أجداده من بَطَلْيوس، و من باجة الأندلس انتقل إلى قرطبة مع أسرته[3].

و القول الراجح هو القول الثاني، و ذلك استنادا لرواية ابن بشكوال أنه قرأ بخط شيخه القاضي محمد بن أبي الخير[4]، أن أبا الوليد الباجي « وُلِدَ يوم الثلاثاء في النصف من ذي القعدة سنة ثلاث و أربعمائة بمدينة بطليوس»[5].

بطليوس»[5].

03 ـ أسرته و نشأته:

ينتسب الإمام أبو الوليد الباجي ـ رحمه الله ـ إلى أهل بيت علم مشهود لهم بالصلاح و التقوى و النباهة و التدين، و قد نبّه أبو الوليد نفسُه على هذا المقام العائلي الشريف في نصيحته لولديه فيقول : « و اعلما أننا أهل بيت لن نخْلُ بفضل الله، ما انتهى إلينا من صلاح و تدين وعفاف و تصاون...»[6]، فوالده خلف بن سعد، كان من أهل العفة و التقوى و الصلاح، و من المحبين للعلم و المكرمين لأهله[7]، وصف الإمام الباجي جده في وصيته لولديه بقوله:«...و كان أوفر الصلاح و التدين و التورع و التعبد من جدكم خلف، كان مع جاهه و حاله، و اتساع دنياه منقبضًا عنها، متقللا منها، ثمّ أقبل على العبادة و الاعتكاف إلى أن توفي رحمه الله .[8]و كان ملازما لحلقة العالم الجليل

(1) ـ ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص 409 .

(2) ـ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1 ، ص 317 .

(3) ـ ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1، ص 94 .

(4) ـ هو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري السرقسطي القرطبي، كان عارفا بالأصول و الفروع، ممن عني بالقراءات وجوّدها و أتقن طرقها، كما كان كامل المروءة كثير البرّ بإخوانه، توفي في رجب سنة 518هـ .ينظر: نصر سلمان، من أعلام المذهب المالكي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ/2011م، ص 68 .

(5) ـ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1 ، ص 320 .

(6) ـ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، النصيحة الولدية، وصية أبي الوليد الباجي لولديه، تح: ابراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1421هـ/2000م، ص 15 .

(7) ـ نصر سلمان، المرجع السابق، ص 50 .

(8) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 15 .

الأندلسي أبي بكر الخصّار[1] بقرطبة، فلما آنس هذا الأخير من خلف بن سعد الاستقامة و العفة و الصلاح، وأعجب به، زوجه ابنته و قد اتصفت بالعلم و العفة و الصلاح و كانت فقيهة عابدة [2].

ولأبي الوليد الباجي أربعة إخوة هم : علي و عمر وابراهيم ومحمد و قد وصفهم في وصيته لولديه بقوله : « كان بنو يخلف عماكما علي و عمر و أبوكما سليمان و عماكما محمد و ابراهيم، فلم يكن في أعمامكما إلا مشهور بالحج و الجهاد و الصلاح و العفاف »[3].

و له ثلاثة أعمام سليمان و عبد الرحمن و أحمد، فقد نُعِتُوا أيضا بالتدين و الصلاح و كثرة العبادة و الخير[4] .

.

أمّا أخواله، فكانوا من أهل العلم و العبادة، منهم خاله العالم الخطيب أبو شاكر عبد الواحد بن محمد المعروف بابن القبري[5] التجيبي من أهل العلم و الصلاح و التقوى مشهود بفضله و علمه.

كما كان له عدد من الأبناء، عاش بعضهم، و توفي آخرون في حياته، فمن الذين توفوا في حياته، محمد بن أبي الوليد سليمان بن خلف، و كنيته أبو الحسن، كان شابًا ذكيًا نبيلًا، يرجو فيه الصلاح، توفي في حياة أبيه بسَرَقُسطة، سنة 472هـ/1079م، وكان فراقه على الباجي له أثر بليغ و قد حزن له كثيرًا، فرثاه بمراثي شجية حارة و حزينة[6]كما يصفه عياض، كما حزن لموت ابنيه (يرثي أبنه و أخاه) ماتا مغتربين و مقتربين فرثاهما بعاطفة جياشة و بحرقة كبيرة و حزن عميق[7] .

أمّا أشهر أبنائه الذين عاشوا بعد وفاته، فهو أحمد بن أبي الوليد سليمان الباجي، وكنيته أبو القاسم، كان إمامًا فقيهًا أصوليًا من أهل الفضل و الدين، تفقه على يد أبيه، و أذن له في إصلاح كتبه في الأصول فتتبعها، خلفه في حلقته بعد وفاته، أخذ عنه أئمة منهم أبو علي الصدفي و له عدة مؤلفات (سرُّ النظر) و كتاب (معيار النظر)

(1) ـ **أبو بكر الخصّار**: هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن موهب بن محمد التجيبي القرطبي المشهور بالخصّار، كان من العلماء الزهّاد توفي ستة 406هـ، و هو جدّ للباجي من جهة أمّه . ينظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص144 .

(2) ـ الباجي، الإشارة، المصدر السابق، ص 36 .

(3) ـ الباجي، النصيحة الولدية، المصدر السابق، ص 15 .

(4) ـالباجي، الاشارة المصدر السابق، ص 36 .

(5) ـ هو عبد الواحد بن محمد بن موهب بن محمد التجيبي أبو شاكر المعروف بابن القبري، من ألمع الوجوه العلمية و الأدبية في الأندلس، فقد كان فقيهًا محدثًا محدثًا اديبًا خطيبًا شاعرًا، له باع في العربية والكلام و النظر و الجدل على مذهب أهل السنة، توفي سنة 456هـ . ينظر: الباجي، التعديل و التخريج، المصدر السابق، ج1، ص 39.

(6) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج 2 ، ص 351.

(7) ـ الباجي، الإشارة، المصدر السابق، ص 39 .

(كتاب البرهان في أن أول الواجبات الإيمان) و غيرها ،كانت له رحلة الى المشرق، توفي بجدة سنة 493هـ[1]، و كانت له ابنة نجيبة زوّجها للحافظ المحدث الفقيه أبي العباس[2]أحد تلاميذه [3] .

عمومًا فإن أسرة الإمام أبي الوليد الباجي، كانت بحق أسرة علم و تقوى و صلاح و عفة، وحسبنا في ذلك ما ذكره القاضي عياض في وصف تلك الأسرة الفاضلة فقال:" و كان له إخوة جِلَّة نبلاء، و بيته بيت علم و نباهة"[4].

في وسط هذا المحيط الأسري العربي الأصيل، الذي اتسم بالتقوى و العلم و الصلاح، نشأ الإمام الباجي، فوالده من عباد الله الصالحين، الزاهدين، ومن المجالسين للفقهاء لهم، وأمه فقيهة، صالحة، عابدة، وجده لأمِّه محمد بن موهب القبري(ت 406هـ) فقيه عالم، خالُه أبو شاكر عبد الواحد فقيه، ومحدث، و إخوته صالحون مجاهدون، فكان هذا الوسط كفيل بتهيئة جو ملائم و بيئة خصبة لهذا الناشئ الصغير[5] في توجيهه الى طريق العلم الصحيح و النهل من من معينه الصافي.

لقد نشأ أبو الوليد الباجي ونال حظه في التربية الحسنة و الأخلاق العالية، ساعده ذلك، على تنمية قدراته الذهنية و سقل مواهبه الفكرية، الأمر الذي فتح أمامه آفاقًا رحبة تبشِّر بغدٍ مشرقٍ بالعلم و المعرفة[6]،إضافة الى البيئة العلمية المزدهرة التي كانت تسود عصر الإمام الباجي القائمة على التنافس الجاد في مختلف العلوم و شتى الفنون و سائر المعارف.

في هذه الأجواء العامّة عاش وترعرع إمامنا الجليل، و كله عزم و جد وكدّ في تحصيل مختلف العلوم واكتساب شتى المعارف، يدفعه في ذلك حرصه الشديد و رغبته الصادقة في طلب العلم، متّبعًا في ذلك هدي العلماء العاملين المخلصين، مقتديا بهم سلوكاً و طريقة وأخلاقًا[7] .

04 ـ وفاته:

(1) ـ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 121 . بن فرحون، المصدر السابق، ص ص 103 ـ 104 .

(2) ـ هو أحمد بن عبد الملك بن موسى بن عبد الملك بن أبي حمزة أبو العباس، أحد طلبة الباجي، كان محدثاً فقيهًا مشرفًا على علم التاريخ، من بيت علم و أصالة، توفي سنة:533هـ، ينظر ابن فرحون، المصدر نفسه، ص 120.

(3) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 40 .

(4) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص351

(5) ـ فؤاد بن عبيد، الاجتهاد المقاصدي عند الإمام أبو الوليد الباجي و تطبيقاته الفقهية من خلال كتابه المنتقى، رسالة دكتوراه في الفقه و الأصول، إشراف صالح بوبشيش، قسم الشريعة، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الاسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1430هـ / 2008 ـ 2009م، ص 56 .

(6) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 41 .

(7) ـ الباجي، المصدر نفسه، ص 42 .

بعد سلسلة العطاءات العلمية والفكرية و الاسهامات الحضارية التي كرس أبو الوليد الباجي حياته من أجلها، بداية من طلبه للعلم إلى اكتسابه و تحصيله الى التأليف و المناظرة و الجدل، و من السياسة الشرعية إلى السياسة العامة و مآسيها، و جهوده في اصلاح الراعي و الرعية و لمّ الشمل و توحيد كلمة صف المسلمين، ضد حكام النصارى (ألفونسو السادس)، أدركته المنية و وافاه الأجل بمدينة المرية ليلة الخميس بين العشاءين تاسعة عشرة رجب، سنة أربع و سبعين و أربعمائة، و دفن يوم الخميس بعد صلاة العصر بالرِّباط على ضفة البحر، و صلى عليه ابنه أبو القاسم[1] .

و لقد اختلف عدد من المترجمين و المؤرخين في تحديد تاريخ وفاته، فانفرد ابن الأثير بالقول إلى أن أبا الوليد الباجي توفي في حدود سنة ثمانين و أربعمائة[2]، و ذهب ياقوت الحموي و ابن فرحون إلى أنه توفي سنة أربع و تسعين و أربعمائة[3] .

و عليه فالراجح من الأقوال، هو ما استقر عليه قول الجمهور وهو أن وفاته ـ رحمه الله ـ كانت في سنة أربع و سبعين و أربعمائة، و ذلك استناداً لشهادة القاضي أبي علي الجيّاني و هو أحد تلاميذه[4].

(1) ـ ابن خلكان، المصدر السابق،ج2، ص 409 .

(2) ـ ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص 103 .

(3) ـ ياقوت الحموي، معجم الأدباء ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ج3، ص 1389 . ابن فرحون، المصدر السابق، ص 200 .

(4) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 44 .

خلاصة الفصل التمهيدي:

لقد عاش أبو الوليد الباجي بين أمواج متلاطمة من الفتن السياسية و تردي الحياة الاجتماعية، غير أن الحياة العلمية كانت في أوج العطاء، فقد عرفت ازدهارا ثقافيا، و نبوغا علميا، في هذا الفلك ظهر علم من الأعلام أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي(ت 474 هـ) وقد نال حظه في التربية الحسنة و الأخلاق العالية، ساعده ذلك، على تنمية قدراته الذهنية و سقل مواهبه الفكرية، الأمر الذي فتح أمامه آفاقًا رحبة تبشِّر بغدٍ مشرقٍ بالعلم و المعرفة، إضافة الى البيئة العلمية المزدهرة التي كانت تسود عصر الإمام الباجي القائمة على التنافس الجاد في مختلف العلوم و شتى الفنون و سائر المعارف.

الفصل الأول

الفصل الأول: النشاط العلمي للإمام أبو الوليد الباجي:

المبحث الأول : حياة الإمام الباجي العلمية .

أولاً : طلبه للعلم ورحلاته.

01 ـ المرحلة التعليمية بالأندلس : 403هـ ـ 426هـ .

02 ـ المرحلة التعليمية المشرقية : 426هـ ـ 438 هـ.

03 ـ مرحلة العودة إلى الأندلس و العطاء : 439هـ ـ 474هـ

ثانيًا: شيوخه

ثالثا: أقرانه ،

رابعا: تلاميذه .

خامسا : مكانته العلمية و أقوال العلماء فيه :

المبحث الثاني: آثار الإمام الباجي العلمية .

أولا : مناظرات الإمام أبي الباجي العلمية و آراؤه الجدلية .

ثانيا : محنة الإمام أبي الوليد الباجي .

ثالثا: مؤلفات الإمام أبي الوليد الباجي و آثاره العلمية.

النشاط العلمي للإمام أبو الوليد الباجي:

في هذا الفصل سنتناول في المبحث الأول، المراحل و المحطات التعليمية التي سلكها الإمام أبو الوليد الباجي في طلبه للعلم و سعيه في تحصيله، متطرقين بعدها الى ترجمة أهم شيوخه الذين تتلمذ على ايديهم، و كان لهم الأثر و التأثير على تكوينه العلمي و سلوكه التربوي، ثمّ نأتي على ترجمة أبرز أقرانه الذين كانوا أقطابًا في العلم و المعرفة، ثمّ تلاميذه الذين أثّر عليهم في نفوسهم بعلمه و خلقه، ثم نتطرق إلى مكانته العلمية و أقوال العلماء فيه، أما في المبحث الثاني سنذكر آثار الإمام الباجي العلمية في ثلاث نقاط و هي مناظراته العلمية و آراؤه الجدلية مع مخالفيه ،ثم نعرج الى تلك المحنة التي تعرض لها و كادت تعصف بحياته، و في الختام نذكر أهم مؤلفاته و مصنفاته الدينية و آثاره العلمية التي خلفها الإمام الباجي .

المبحث الأول : حياة الإمام الباجي العلمية .

أولاً : طلبه للعلم ورحلاته.

اتجه الإمام أبو الوليد الباجي إلى طلب العلم منذ نعومة أظافره، بهمّة عالية، و رغبة صادقة، واجتهاد منقطع النظير، فسعى في سبيل تحصيله و اكتسابه في غربي البلاد و شرقها، و إذا تتبعنا المراحل التعليمية للإمام الباجي منذ البدايات الأولى من حياته، من خلال استقراء المصادر التاريخية يمكننا تقسيمها إلى ثلاث مراحل :

01 ـ المرحلة التعليمية الأندلسية (403هـ ـ 426 هـ) :

تميزت المرحلة التعليمية الأولى للإمام الباجي بتلقيه العلم منذ صغره بين أحضان أسرته، و هي عادة معروفة و محمودة في بلاد الأندلس، ثمّ انتقل بعدها إلى أخذ العلم عن كبار المشايخ و العلماء في الأندلس[1] .

اهتم في بداية دراسته بعلوم اللغة العربية و آدابها و برع فيهما، حيث يقول ابن بسام في كتابه الذخيرة :« نشأ أبو الوليد هذا و همته في العلم تأخذ بأعنان السماء، و مكانته في النثر و النظم يسامي مناط الجوزاء، و بدأ في الأدب فبرز في ميادينه، و استظهر أكثر دواوينه، و حمل لواء منثوره و موزونه»[2].

(1) ـ العمري بلاعدة، الإمام أبو الوليد الباجي (ت474هـ) و جهوده في خدمة المذهب المالكي، مجلة دراسات و أبحاث، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2017م، ع 28، ص 314 .

(2) ـ ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1، ص ص93 ـ 94 .

ثم مال إلى علوم القرآن و التفسير والحديث و الفقه و الأصول و علم الكلام، فأخذ عن خلق كثير من مشايخ و علماء الأندلس، متنقلا بين كبرى الحواضر العلمية الأندلسية في عصره، كقرطبة و طليطلة و سرقسطة و غيرها من الحواضر[1].

فأخذ علوم اللغة و النحو و الحديث، عن المحدث اللغوي أبي الوليد يونس بن مغيث القرطبي[2]، و تلقى علوم القرآن و القراءات، من الإمام المقرئ الكبير مكي بن أبي طالب القرطبي[3]،كما تفقه على يد العالم الفقيه أبي بكر خلف بن أحمد الرهوني الطليطلي الرّحوي[4]و غيرهم من علماء الأندلس و مشايخها.

و هكذا استطاع الباجي، أن يجعل من هذه العلوم التي لا يستغنى عنها أيُّ طالب علم، في أولى خطواته التعليمية، و التي تلقاها على يد كبار شيوخ و علماء الأندلس، الأساس الذي سيبني عليه بعد ذلك، رحلته العلمية نحو البلاد المشرق[5]

02 ــ المرحلة التعليمية المشرقية (426هـ ـ 439 هـ) :

لم تكن همّة أبي الوليد الباجي لتقف عند هذا الحدِّ من التحصيل العلمي، بعدما أجازه شيوخ و علماء الأندلس و شهدوا له بالأهلية، ممّا دفعه حرصه الشديد ورغبته الملحة الصادقة في الاستزادة في طلب العلم و اكتسابه، و التبحّر في شتى المعارف المختلفة، فعزم كعادة طلبة الأندلس على الخروج من الأندلس و التوجه نحو بلاد المشرق فكانت رحلته إلى المشرق للقاء فحول علمائه و جهابذتهم، ليأخذ عنهم الفقه و الحديث و الرأي، و الأصول و الكلام و العقيدة و غيرها.

و قد عكف على تحصيل العلم طيلة ثلاث عشرة سنة[6]،و كان عمره وقتذاك ثلاثًا وعشرين سنةً[7]، ولم تزل أقطار

(1) ـ بوسيف سنوسي، يوسي الهواري، المرجع السابق، ص 556 .

(2) ـ هو عبد الله بن محمد بن مُغيث، يكنى بأبي محمد، يُعْرف بابن الصفّار، مشهور بالعلم و الأدب، توفي سنة 352 هـ ، ينظر: الضبي، المصدر السابق، ج2، ص 432 .

(3) ـ هو مكي بن أبي طالب القيسي المالكي، يكنى بأبي محمد، عالم الأندلس و شيخها في القراءات، له تصانيف كثيرة منها : الكشف عن وجوه القراءات و عللها، و التبصرة في القراءات، و الهداية في بلوغ النهاية في معاني القرآن، و تفسيره و أنواع علومه، توفي سنة 437هـ. ينظر: اليافعي، مرآة الجنان و عبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 ،1417هـ/1997م، ص 45 .

(4) ـ هو خلف بن محمد بن خلف الأنصاري الرهوني الطليطلي يُعرف بالرحوي، و يكنى بأبي بكر،كان فقيهًا عالمًا، مشهور بالأحكام و المسائل الفقهية . ينظر: الباجي، المصدر السابق، ص65.

(5) ـ بوسيف سنوسي، يوسي الهواري، المرجع السابق، ص 556 .

(6) ـ الباجي، التعديل و التخريج، المصدر السابق،ج1، ص ص 41 ـ 42 .

(7) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ج347 .

تلك الآفاق تواصله، و عجائب الشام والعراق تغازله، حتى أجاب، و شدّ الركاب، وودع الأوطان و الأحباب[1] .

فكانت مصر أولى المحطات التي نزل بها الإمام الباجي ، و سمع بها من الفقيه المالكي المحدث الزاهد أبي محمد بن الوليد[2] ، و ذلك سنة 426هـ ، ثمّ اتجه بعدها إلى أرض الحجاز قاصدًا مكة المكرمة فلزم بها أبا ذر الهروي[3] ثلاثة أعوام، و قد حجّ أثناء إقامته بمكة أربع حجج، و كان يسكن معه بالسراة[4] و يخدمه، و يتصرف في جميع حوائجه[5] ، ، و قد سمع من شيوخ الحرم(كأبي بكر المطوعي، وأبي بكر بن سختويه، و ابن محرز، و ابن أبي محمود الوراق)[6] .

ثمّ ارتحل قاصداً العراق، فدخل بغداد و ذلك سنة (434هـ /1043م)، ومكث فيها ثلاثة أعوام، يدرس الفقه و يسمع الحديث عمن لقيهم من خيرة الأئمة الأعلام و جلّة الفقهاء، الذين تزخر بهم مدينة بغداد[7]، كأبي الفضل بن عروس[8]، إمام المالكية، و أبي الطيب الطبري[9]، و أبي اسحاق الشيرازي[10] الشافعي، و أبي عبد الله الدامغاني[11] والصيّمري[12] غيرهم[13] .

---

(1) ـ ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1، ص 95 .

(2) ـ عبد الله بن الوليد بن سعد، أبو محمد الأنصاري الأندلسي، نزيل مصر، كان ثقة فيما رواه، ثبتاً ديناً فاضلاً، حافظًا للرأي، مالكي المذهب، توفي سنة : 448هـ، ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 267 .

(3) ـ هو أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد بن غفير الهروي المالكي، المشهور بابن السمّاك، الحافظ، الإمام الثقة ، و شيخ الحرم في عصره، صاحب التصانيف، و راوي الصحيح عن الثلاثة : المستملي و الحموي و الكشميهني، توفي سنة : 434هـ/1042م . ينظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج17، ص 556 .

(4) ـ سراة : هي كل شيء أعلاه و ظهره ووسطه و السراة جبل بناحية الطائف ، ينظر: الباجي، المصدر السابق،ج1، ص 42.

(5) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص ص 347 ـ 348 .

(6) ـ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 197 .

(7) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 348 .

(8) ـ هو محمد بن عبيد الله بن أحمد بن عمروس يكنى بأبي الفضل إمام المالكية ببغداد، كان فقيهًا أصوليًا، و من القراء المجوّدين، انتهت إليه الفتوى ببغداد على مذهب مالك، توفي سنة 452هـ.ينظر: الصدفي، المصدر السابق، ج4، ص 9 . و ابن فرحون، المصدر السابق، ص 368 .

(9) ـ هو أبو الطيب طاهر عبد الله بن طاهر الطبري الإمام الجليل القاضي، فقيه شافعي، من مصنفاته شرح مختصر المزني، توفي سنة 450هـ .ينظر: السبكي، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، د ط ، د ت، ج5، ص12 و ما بعدها .

(10) ـ هو ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي ، شيخ الاسلام، و الإمام المعروف، صاحب التصانيف المشهورة، كالتنبيه و المهذب في الفقه، و التبصرة و اللمع في أصول الفقه، و المعونة في الجدل، يضرب له المثل في الفصاحة و المناظرة، توفي سنة : 476هـ .ينظر: السبكي، المصدر نفسه، ج4، ص 215 و ما بعدها .

(11) ـ هو محمد بن علي بن محمد، أبو عبد الله الدَّامَغَانيُّ ، ولد سنة 398هـ بدامغان، ولي القضاء سنة 447هـ، كان وافر العقل، كامل الفضل، مكرمًا لأهل العلم، انتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق .ينظر: أبو بكر الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد مدينة السلام و أخبار محدثيها و ذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريدها، تح : بشار عوّاد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، ج4، ص ص 183ـ 184 .

(12) ـ هو الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الفقيه، المعروف بالصيمري، نسبة إلى صَيْمر، نهر بالبصرة، عليه عدة قرى، هو أحد الأئمة الحنفية ببغداد، ولي قضاء ربع الكَرخ، و كان ثقة صاحب حديث، توفي سنة: 436هـ . ينظر: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1410هـ/1989م، ج5، ص 168 .

(13) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 348 .

ثمّ انتقل إلى الموصل، فأقام بها عامًا كاملاً، يَدْرُس على يد قاضيها أبي جعفر السِّمناني[1] الأصول و حاز منه علمًا كثيرًا[2]، ثمّ دخل بعد ذلك الشام أواخر عام (437هـ/1045م) و قصد مدينة حلب و قضى بها مدة يسمع من من شيوخها كأبي الحسن علي بن موسى الدمشقي المعروف بابن السِّمْسار[3]، و في مصر سمع من أبي محمد بن الوليد الأنصاري[4] و غيره .

وقد دام مقام أبو الوليد الباجي بالمشرق طويلاً، إذ بلغ نحو ثلاثة عشر عامًا، يطلب فيها العلم من منابعه في كل مكان يحل به، و كان خلال إقامته هناك مثالاً للجد و المثابرة، فلا غرابة أن يرجع الى الأندلس بعلم غزير و مقام رفيع، حيث حاز الرئاسة فيها عقب عودته من المشرق، حتى قال فيه أبو بكر بن العربي : ((كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم إلا الباجي))[5]، و صار أحد أعلام الشريعة المذكورين، فبرع في علل الحديث و رجاله، و في الفقه و غوامضه، و خلافه و مسائله، و في الكلام و مضايقه، و في الأصول و النظر و الرأي بشتى مناحيه[6] .

03 ـ مرحلة العطاء و العودة إلى الأندلس (439هـ ـ 474 هـ) :

عاد الإمام أبو الوليد الباجي إلى الأندلس من رحلته العلمية المشرقية المباركة، بعلم غزير، و مقام رفيع في العلم، جعله من أقطاب العلم و المعرفة ببلاده، ينافح عن العلم و ينشره خدمة لدينه و أمته، فتصدر للتدريس و الوعظ في هذه الديار، و كان يكسب قوت يومه في أول حياته بالاشتغال ببعض المهن الشاقة، بضرب ورق الذهب للغزل، فكان يخرج للإقراء أحيانًا و في يده أثر المطرقة، فذاع صيت دروسه، وبلغت شهرته الآفاق، و اشتهرت تآليفه، و عُرِف قدره فاتسعت حاله و كثُر ماله[7].

وهكذا فتح الله عليه، و نال أعظم تكريم و أجمل تبجيل، فتولى خطة القضاء و التوثيق، فقربه الملوك و الرؤساء، و استعملوه في الوساطة و السفارة فيما بينهم، فسعى بدوره إلى الدعوة الى الوحدة و لمّ الشمل بين أمراء الأندلس بكل ما أتاه الله من علم و حكمة، فقضى كلّ حياته بين التدريس و التأليف و خدمة قضايا أمته و خدمة

(1) ـ هو محمد بن أحمد بن محمد، يكنى بأبي جعفر، فقيه الموصل و هو من كبار فقهاء المذهب الحنفي، قال عنه الذهبي : كان من أذكياء العالم توفي سنة 444هـ . ينظر : الذهبي، المصدر السابق، ج 17، ص 651 .

(2) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 348 . ابن فرحون، المصدر السابق، ص 197 .

(3) ـ هو علي بن موسى بن الحسين بن السِمْسار، يكنى بأبي الحسن، محدث الشام، روى صحيح البخاري عن أبي زيد المروزي و انتهى إليه علو الإسناد بدمشق في وقته . ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج 17، ص 506 .

(4) ـ هو أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري الأندلسي المالكي، يكنى بأبي بكر، من كبار العلماء أصله رحل الى المشرق واستقر أخيرًا في مصر، توفي سنة 448هـ . ينظر: الذهبي، المصدر نفسه ج17، ص 658 .

(5) ـ المقري، المصدر السابق، ج2، ص 70 .

(6) ـ الباجي، المصدر السابق، ج1، ص 45 .

(7) ـ المقري، المصدر السابق،ج2، ص 78 .

الاسلام إلى أن توفاه الأجل عام 474هـ مخلفًا ذكرًا طيبًا، و علمًا غزيرًا، فرحمه الله رحمةً واسعةً، وجزاه عن الاسلام خير الجزاء[1] .

ثانيا : شيوخه :

تلقّى أبو الوليد الباجي العلم على أيدي عدد كبير من العلماء و المشايخ الأجلاء، الذين كان لهم الفضل و الأثر في تكوينه العلمي، وسلوكه التربوي بالأندلس و غيرها من البلاد الاسلامية التي نزل بها، أثناء رحلته العلمية ببلاد المشرق، لذا فشيوخه جمهرة وافرة، لا يحصون كثرة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

أ ـ شيوخه بالأندلس:

ـ عبد الواحد بن محمد بن موهب التجيبي القبري، يكنى بأبي شاكر، خال أبي الوليد الباجي، و هو من أهل العلم بالحديث، و الفقه، و العربية، و النظر، و الجدل، والكلام، على مذهب أهل السنة، عالمًا بالعربية، خطيبًا مفوهًا، لامعًا حاذقًا، و له شعر رائق[2]، أخذ عنه أبو الوليد الباجي العلم في قرطبة، و لازمه منذ نعومة أظافره، توفي بشاطبةسنة 456هـ/ 1063م و دفن بها[3].

ـ مكي بن أبي طالب القيسي المالكي، يكنى بأبي محمد، شيخ القراءات بالأندلس، أصله من القيروان، ولد سنة 355هـ/965م ،نزيل قرطبة، كان فقيهًا مقرئًا، أديبًا متقنًا للرواية، غلب عليه علم القرآن، و كان من الراسخين فيه[4]،كان كثير التأليف في علوم القرآن محسنًا مجودًا، إمامًا عالمًا بمعاني القراءات[5]،قلده أبو الحزم بن جهور خطابة قرطبة بعد وفاة يونس بن عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفّار(ت 429هـ) و كان قبل ذلك ينوب عنه[6] ، و له ثمانون مصنفًا[7]منها : مشكل إعراب القرآن، التبصرة في القراءات، و هو من أشهر تآليفه، والرعاية لتجويد القرآن و تحقيق لفظ التلاوة، و قد روى عنه الباجي كثيرًا من كتبه توفي في صدر محرم سنة سبع و ثلاثين و أربعمائة [8] .

(1) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 349 .
(2) ـ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 2، ص 348
(3) ـ الحميدي، جذوة المقتبس، المصدر السابق، ص 420 .
(4) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2،ص 304 .
(5) ـ الذهبي، طبقات القراء، تح: أحمد خان، ط1، 1418هـ ـ 1997م، ج 2، ص 600 .
(6) ـ الباجي، المصدر السابق، ج1، ص 52 .
(7) ـ الذهبي، المصدر السابق، ج 2، ص 600 .
(8) ـ اليافعي، المصدر السابق، ج3، ص45 .

ـ يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث أبو الوليد القرطبي المعروف بـ : ابن الصفّار، ولد سنة : 338هـ، نشأ في طلب العلم، و سمع من علماء كثر منهم ابن الأحمر، و ابن ثابت زكرياء بن برطال، و ابن الخراز و غيرهم[1]، كان رجلا صالحًا، ميالاً الى العبادة و التنسك، مقدمًا في علم اللسان و الأدب، روى عنه القاضي أبو الوليد الباجي، ولي قضاء الجماعة أيام المعتمد، و توفي سنة تسع و عشرين و اربعمائة، و قد نيف على التسعين سنة[2] .

ـ خلف بن أحمد بن خلف الأنصاري الرهوني الطليطلي الرحوي، يكنى بأبي بكر، و كان رجلاً فاضلاً، سمع منه أبو الوليد الباجي، و تفقه به أهل طليطلة، توفي سنة 420هـ[3] .

ـ عيسى بن خلف بن عيسى المعروف بـ: ابن أبي درهم ، المكنى بأبي الأصبع، أجاز لأبي الوليد الباجي الكثير من مروياته[4]

ب ـ شيوخه بالمشرق:

01 ـ مصر:

ـ عبد الله بن الوليد بن سعيد، المكنى بأبي محمد الأنصاري، الأندلسي، كان ثقة فيما يرويه، ثبتا، حافظا للرأي، مالكي المذهب، متوفي سنة 448 هـ[5] .

02 ـ الحجاز:

ـ عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن غفير، الشهير بأبي ذر الهروي الأنصاري، أصله من هراة احدى قرى أصبهان، نزل مكة و جاور بها أزيد من ثلاثين سنة، و كان مالكي المذهب، إمامًا في الحديث، حافظًا له، ثقة، ثبتًا متقنًا، واسعة الرواية، متحريًا في سماعه[6]،أخذ عنه الباجي الفقه و الحديث، و له تآليف كثيرة، منها: كتابه الكبير في المسند الصحيح المخرج على البخاري و مسلم، و كتاب "الجامع" و "كتاب السنة و الصفات"، و كتاب "مسانيد الموطأ"، وكتاب "فضائل القرآن"، توفي ـ رحمه الله ـ في ذي القعدة سنة خمس و ثلاثين و اربعمائة[7] .

03 ـ بغداد :

أطال الإمام الباجي المكوث ببغداد فكثر شيوخه بها نذكر منهم:

(1) ـ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 444 .
(2) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص ص 305 ـ 306 .
(3) ـ ابن فرحون، المصدر السابق، ص183 .
(4) ـ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 633 .
(5) ـ الذهبي، سير الاعلام المصدر السابق، ج18، ص 558 .
(6) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص ص275 ـ 276 .
(7) ـ ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص 311 ـ 312 .

ـ ابراهيم بن علي بن يوسف بن جمال الدين الشيرازي الشافعي، المكنى بأبي اسحاق[1]، ولد بفيروز آباد سنة 393هـ، أخد عنه الإمام الباجي ببغداد الفقه و الجدل[2]و هو إمام الشافعية له تآليف كثيرة منها : « اللمع» في أصول الفقه، و«المعونة في الجدل» و« التنبيه» و «المهذب في الفقه الشافعي»و«التبصرة في أصول الفقه»، توفي سنة 459هـ[3].

ـ أبو الطيب بن عبد الله بن ظاهر بن عمر الطبري ولد بأمل مقاطعة طبرستان سنة 348هـ ،و إلى طبرستان نسب أبو الطيب فقيل له الطبري، كان طول حياته مواظبًا على طلب العلم، حتى صار من أكبر أئمة المذهب الشافعي في وقته[4]، تفقه ببلاده على أبي عبد الله الجرجاني، و أبي سعيد الإسماعيلي، ثم انتقل إلى نيسابور، فأخذ من فقهائها، ثمّ ثمّ دخل بغداد فاستوطنها و بها أخذ عنه الإمام الباجي، صنف في الأصول و الخلاف و الجدل، ومن أهم مؤلفاته: «شرح مختصر المزني»،توفي سنة خمسين و أربعمائة[5] .

ـ أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن جعفر القاضي الصّيمري ولد بصيمر سنة 351هـ، أحد الأئمة الحنفية ببغداد، و إليه انتهت رئاسة الحنفية في الفقه و الحديث و قد أخذ عنه الدمغاني و الخطيب البغدادي و أبو الوليد الباجي و آخرون[6]، و قد وُلِّي قضاء المدائن في أول الأمر ثمّ وُلِّيَ بعدها القضاء بربع الكرخ بغداد، توفي سنة ست و ثلاثين و أربعمائة و دفن في داره بدرب الزرادين[7]

04 ـ الموصل :

ـ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد السِّمْنَانِي، المكنى بأبي جعفر، من سمنان بالعراق، و إليها نُسِب، ولد سنة 361هـ، و كان أصوليًا نظّارًا، و فقيهًا متكلمًا على مذهب الأشعري، من كبار فقهاء المذهب الحنفي، سكن بغداد،ووُلِيَ قضاء الموصل، لزمه أبو الوليد الباجيقرابة العام، و قد أخذ عنه الباجي علم الكلام بالموصل، و قد نقل عنه في كتابه الإحكام كثيرًا توفي السِّمْنَانِي سنة(444هـ / 1052م)[8] .

(1) ـ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 29 .
(2) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 349 .
(3) ـ الذهبي، المصدر السابق، ج18، ص 452 .
(4) ـ الباجي، التعديل و التخريج، المصدر السابق، ج1، ص 61 .
(5) ـ السبكي، المصدر السابق، ج5، ص12 و ما بعدها .
(6) ـ الباجي، الإشارة، المصدر السابق، ص 70 .
(7) ـ الباجي، التعديل و التخريج، المصدر السابق،ج1، ص 58 . ابن العماد، المصدر السابق، ج5، ص 168 .
(8) ـ ابن بسام، المصدر السابق، ق2،م1، ص99 . القاضي عياض، المصدر السابق،ج2،ص 348 . ابن خلكان، المصدر السابق، ج8، ص 111 .

05 ـ بالشام:

ـ علي بن موسى بن الحسين الدمشقي المعروف بـ : ابن السِّمْسَار، يكنى بأبي بكر، محدث الشام في وقته، روى صحيح البخاري عن أبي زيد المروزي و انتهى إليه علو الإسناد، و بها أخذ عنه أبو الوليد الباجي، توفي سنة 432هـ[1]

ـ أبو الحسن محمد بن عوف المزني، الدمشقي، و كانت كنيته الأصلية، أبو بكر، فلما منعت الدولة الباطنية من التكَّنِي بأبي بكر، تكنّى بأبي الحسن، قال الكتاني: "كان ثقة نبيلاً مأمونًا "، توفي في ربيع الآخر سنة 431هـ [2] .

ثالثًا: أقرانه :

عجَّت بلاد الاسلام مشرقًا و مغربًا بنجوم لامعة في عالم العلم و المعرفة، فكانوا أقطابًا و أعلاما يتنافسون في البحث و التحصيل و التأليف و التدوين، يُشَار إليهم بالبنان، و يتحدث بفضلهم على مر العصور و الأزمان، و سنكتفي بترجمة موجزة لأبرز معاصري الإمام الباجي نذكر على سبيل المثال لا الحصر .

01 ـ أبو محمد ابن حزم الظاهري(المتوفى سنة: 456هـ):

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، فارسي الأصل، ولد بقرطبة سنة 384هـ، و نشأ تنشئة صالحة تحت رعاية والده الذي كان وزيراً للمنصور بن أبي عامر، فنال حظه ـ و هو صغير ـ من العلم و المعرفة [3]، [3]،

قال ابن خلكان : كان حافظًا عالماً بعلوم الحديث و فقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب و السنّة، بعد أن كان شافعي المذهب، انتقل إلى مذهب أهل الظاهر، و كان متقنًا في علوم جمّة[4].

و يقول الحافظ الحميدي : ما رأيت مثله ــ رحمه الله ــ فيما اجتمع له، مع الذكاء و سرعة الحفظ و كرم النفس و التدين[5] .

جرت بينه و بين الباجي عند عودته من المشرق مناظرات و مجالس بميورقة سنة 439هـ دوّن الباجي بعضها في كتابه " فرق الفقهاء"[6].

(1) ـ الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص507 .
(2) ـ ابن العماد، المصدر السابق، ج5، ص 155 .
(3) ـ الباجي، الاشارة، المصدر السابق، ص 75 .
(4) ـ اليافعي، المصدر السابق، ج3،ص61 . ابن خلكان، المصدر السابق، ج 3، ص ص325 ـ 330 .
(5) ـ الحميدي، المصدر السابق، ص 450 .
(6) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 76 .

ترك ابن حزم ـ رحمه الله ـ مصنفات جليلة، و مؤلفات علمية عديدة نافعة و قيمة في مختلف العلوم و شتى الفنون، منها: "الإحكام لأصول الأحكام" و" المحلى في شرح المحلى بالحجج و الآثار"و "الفِصَلْ في الملل و النحل" و " جمهرة أنساب العرب" و غيرها من الكتب القيمة النافعة، غير أن أمراء الطوائف أحرقوا أكثرها، عقب مناظرته مع الباجي[1]، توفي ـ رحمه الله ـ في شعبان سنه: 456هـ[2] .

02 ـ ابن عبد البّر النَّمَيرِيُّ (المتوفى سنة : 463هـ):

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد النّمري[3]، ولد بقرطبة سنة 368هـ، شيخ علماء الأندلس، و كبير محدثيها في وقته، اشتهر بالعلم، و حدّث عن كبار المحدثين بالأندلس، فبلغ درجة من العلم بعلم الحديث، لم يبلغها غيره من العلماء، حتى أصبح يطلق عليه حافظ المغرب، و لم تكن له رحلة خارج الأندلس، و لم تثبت له حتى رحلة الحج، جمع بين الفقه و العلم بالقراءات و الأنساب و الأخبار، قال عنه الباجي :" لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البّر في الحديث"[4]

له مؤلفات قيمة منها :" التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد "و"الاستعاب في معرفة الأصحاب" و" الدُّرر في اختصار المغازي و السير"والاستذكار و غيرها من المؤلفات، توفي رحمه الله بشاطبة سنة: 463هـ[5].

03 ـ أبو بكر الخطيب البغدادي (المتوفى سنة 463هـ):

هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ولد سنة 392هـ ، نشأ تنشئة دينية صالحة بقرية دَرْزيجان[6] بالعراق، طلب العلم و هو صغير ابن عشر سنين، فرحل إلى بقاع شتى سمع خلالها من خلق كثير من المحدثين، كان حافظا، محدثا، متقنا، ضابطا، متفننًا في أسانيده عالما بصحيح الحديث و سقيمه، و كان يلقب بحافظ المشرق[7]، لقي أبو الوليد الباجي أبا بكر الخطيب و روي كل منهما عن صاحبه، قال ابن ماكولا: " لم يكن للبغداديين بعد الدار قطني مثل الخطيب"، ترك الخطيب البغدادي ثروة من المؤلفات تدل على غزارة علمه و تفوقه

(1) ـ كصنيع المعتضد بن عباد، الذي أمر بإحراق كتب ابن حزم باشبيلية، ينظر: ابن بسام، المصدر السابق، ق2،م1، ص 95.

(2) ـ الضبي، المصدر السابق، ج2، ص ص 543 ـ 545 . ابن خلكان، المصدر السابق،ج3، ص 325 .

(3) ـ نسبة إلى النّمر بن قاسط بن هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.ينظر، أبي سعيد السمعاني، الأنساب، تح و تع: عبدالله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1988م،ج5، ص ص 524 ـ 525.

(4) ـ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 641 .

(5) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 352 . الذهبي، المصدر السابق، ج18، ص ص153 ـ 163 .

(6) ـ هي قرية كبيرة تحت بغداد على الدجلة بالجانب الغربي، و أصلها درزبندان، فعُرِّبت على درزيجان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ج2، ص 450 .

(7) ـ الذهبي، المصدر نفسه ،ج18، ص 270 . ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص ص 92 ـ 93 .

منها: « الكفاية في علم الرواية» و « الفقيه و المتفقه »و« اقتضاء العلم و العمل» و « تاريخ بغداد» و غيرها من التصانيف النافعة، توفي ببغداد سنة 463هـ و هي نفس السنة التي توفي فيها حافظ المغرب[1]و يسمى بعام الحافظيْن .

رابعًا : تلاميذه :

ذاع صيت الإمام أبي الوليد الباجي، و لمع نجمه، و عُرِفَ فضله و علمه بين الناس، بعد أن حصل من المشرق على علم غزير، و زاد وفير من المعرفة و المدارك أثناء رحلته العلمية التي قضاها في طلب العلم، على أيدي كبار العلماء و فطاحلة المعرفة، فلم يلبث طويلا حين استقر بالأندلس، حتى تفرغ إلى التعليم و التدريس، والإقراء، توافد عليه خلق كثير من طلبة العلم و رواد المعرفة، للاعتراف من فيض علمه، و الارتواء من معارفه الواسعة، فصارت حلقته محطّ رحالهم، فكانوا خير خلف لأفضل سلف، و هم خلق كثير، و جمّ غفير، و من أبرز من تلقّى عنه و تفقه على يديه نذكر منهم :

- أبو القاسم أحمد بن سليمان الباجي الأندلسي:

و هو ابنه و من ألمع تلاميذه، كان ـ رحمه الله ـ عالمِا فاضلاً متبحرًا في الأصول و الخلاف، روى عن أبيه معظم رواياته و كتبه، و كان قد أذِن له والده قبل وفاته بإصلاح كتبه الأصولية فتتبعها و أصلحها، و قد خَلَفَ والده في حلقته بعد وفاته، أخذ عنه العلم بالأندلس جلّة من تلاميذ و أصحاب أبيه، توفي بجدة عقب انصرافه من الحج سنة 493هـ، من مصنفاته : كتاب معيار النظر و كتاب سر النظر، و كتاب البرهان على أن أول الواجبات الايمان[2].

- أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني، الجيّاني، الأندلسي:

ولد سنة 427هـ، برع في الحديث و اللُّغة و الأنساب، كان من جهابذة المحدثين، و كبار العلماء المسندين، روى عن الباجي و ابن عبد البّر و أبي شاكر القبري و غيرهم، و عنه أخذ القاضي عياض و ابن فرحون، له مؤلفات عديدة أشهرها: تقييد المهمل و تمييز المشكل في رجال الصحيحين، و هو كتاب حسن مفيد، أخذه الناس عنه، توفي سنة: 498هـ[3].

- أبو علي حسين بن محمد بن فِيَّرة الصدفي ـ نسبة الى قرية صدف على بعد خمسة فراسخ من القيروان ـ السرقسطي، المعروف بابن أبي سكرة، كانت له رحلة إلى المشرق، كان عالمِا بالحديث و طرقه، عارفا بعلله و اسماء رجاله و نقلته، روى بسرقسطة عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي و غيره، له مؤلفات من أشهرها: الحاشية على صحيح

(1) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 79 . اليافعي، المصدر السابق، ج 3، ص 68 .

(2) ـ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص ص 122 ـ 123 . ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص 103 ـ 104 .

(3) ـ ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1، ص ص 233 ـ 234 . ابن فرحون، المصدر السابق، ص174. ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص180 .

البخاري ، الذي صرح ابن حجر أنه رآه بخط مصنِّفه، استشهد في وقعة قُتَنْدَة[1] بثغر الاندلس سنة: 514هـ[2] .

- محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان الطرطوشي يُكنى أبا بكر، و المعروف بابن أبي رِنْدَقة، من فقهاء المالكية الحفاظ، أخذ الأدب عن ابن حزم، و صحب القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة و أخذ عنه مسائل الخلاف، كانت له رحلة إلى المشرق، كان عالما بالفقه ومسائل الاصول و الفرائض له مؤلفات كثيرة منها: الحوادث و البدع و بر الوالدين و الفتن توفي بالإسكندرية في شعبان سنة 520هـ[3].

- محمد بن أبي نصر بن عبد الله بن فتوح بن حميدي الأسدي الحميدي الأندلسي الحافظ، يُكنى بأبي عبد الله ، أصله من قرطبة، من أهل جزيرة مَيُورقة، ولد سنة 420هـ، محدث، أصولي، أديب، مؤرخ، روى عن ابن حزم و ابن عبد البّر و أبي الوليد الباجي، و كانت له رحلة الى المشرق و له مؤلفات عديدة أشهرها: "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس" ، توفي ببغداد سنة 488هـ[4] .

- محمد بن حيدرة بن مُفَوِّز بن أحمد مُفَوِّز المعافري الشاطبي، يُكنى بأبي بكر، ولد سنة 463هـ، روى عن عمه أبي الحسن طاهر بن مفوّز، كما أخذ عن أبي مروان بن السراج و غيره، خلف شيخه أبا علي الغسّاني في حلقته، و أجازاه كل من أبي عمر بن الحذّاء و الإمام أبي الوليد الباجي ما رواياه، كان حافظًا للحديث و علله، عالما بالرجال، متقنًا أديبًا شاعرًا، فصيحًا، نبيلاً، توفي سنة: 505هـ/1111م [5].

- أبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح مولى المؤيَّد بالله، ولد سنة 413هـ، المقرئ، و محدث ، فاضل، زاهد، كان إمام وقته في الإقراء رواية و معرفة، له تواليف كثيرة، تدل على سعة علمه و معرفته بالإقراء، روى عن أبي عمرو الداني، و عن الإمام الباجي و غيرهما، كما كتب بخط يده كتابي البخاري و صحيح مسلم، و قرأهما معا على الباجي، توفي سنة 490هـ [6].

---

(1) - في هذه الموقعة انتصرت قوات ألفونسو المحارب على قوات المسلمين المرابطة قرب سرقسطة سنة 514هـ/1120م و فيها استشهد من المسلمين الآلاف من الفقهاء و العلماء. ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 237 . ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 310 . خليل ابراهيم السامرائي و آخرون، تاريخ العرب و حضارتهم بالأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص262 .

(2) ـابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص ص235 ـ 237 . المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص 90 ـ 93 .ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص 173 ـ 174 .

(3) - ابن فرحون، المصدر نفسه ، ص 371 . المقري، المصدر السابق،ج2، ص85 و ما بعدها.

(4) - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص818 .

(5) - ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج3، ص 828 . الذهبي، المصدر السابق، ج19، ص 421 .

(6) - الضبي، المصدر السابق، ج2، ص 386 .

ـ أبو جعفر أحمد بن علي بن غزلون الأموي، التطلي الأندلسي، روى عن أبي الوليد الباجي، و يُعَّد من كبار أصحابه، قال عنه ابن بشكوال: كان من أهل الحفظ و المعرفة و الذكاء، و قد أخذ عنه أصحابنا، توفي سنة 520هـ [1].

خامسا: مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه :

01 ـ مكانته العلمية :

يُعَدّ الإمام أبو الوليد الباجي أحد فحول العلماء، وعَلَم من أعلام أهل الصلاح و التقوى البارزين في الأندلس، ومن الذين خلدت ذكراهم صفحات التاريخ، وذاع صيته وعلت شهرته في الآفاق بين النّاس، و حظي بطيب الذكر بين العلماء، نظير إسهاماته و مجهوداته العلمية المباركة، التي بذلها في خدمة وإثراء الحركة العلمية المزدهرة في عصره، فاحتل بذلك مكانة رائدة، ومرتبة عالية بين أهل عصره، و ما كَثْرَة مؤلفاته و قوة مناظراته إلا خير دليل على سعة علمه، وقوة حجته، فانتزع ـ رحمه الله ـ الثناء من أقرانه انتزاعاً من كبار فحول العلماء بعده، و من ترجموا له، و كلهم يشهد له بجلال قدره، و سعة علمه، و صلاح دينه و تقواه، ووقار مجلسه، كما شهد له أئمة كلِّ فن بالنُّبوغ في فنِّهم، فهو بحق عالمٌ متفنِّن، قد جمع في صدره علومًا جمّة .

02 ـ ثناء العلماء عليه :

قال في شأنه غريمه و أشدّ خصومِه الإمام أبو محمد علي ابن حزم الظاهري(ت456 هـ): « لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد القاضي عبد الوهاب[2] مثل أبي الوليد الباجي»[3].

و قال عنه الوزير أبو محمّد بن عبد البّر، على لسان مجاهد العامري أمير « دانية»يُخَاطب فيها المظفر أمير«بطليوس»: «...والفقيه الحافظ أبو الوليد الباجي غذي نعمتك، ونشأة دولتك، وهو من آحاد عصره في علمه، وأفراد دهره في فهمه، وما حصل أحد من علماء الأندلس متفقهًا على مثل حظه وقسمه، وقد تقدم له بالمشرق صيت وذكر، وحصل بجزيرتنا، ولك فيه جمالٌ وفخرٌ، فإنه إليك تنعطف أسبابه، وعليك تلتقي وتلتف آرابه، لكن شددت عليه

(1) ـ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 131 .

(2) ـ القاضي عبد الوهاب: هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن علي التغلبي البغدادي المالكي، ولد بها سنة 362هـ، صاحب كتاب التلقين. الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص ص430- 432 .

(3) ـ ابن بسام، المصدر السابق، ق 2، م 1، ص96 .

يدي، وجلته علم بلدي، يشاور في الأحكام، ويهتدى إليه في الحلال والحرام، فقد ساهمتك به وشاركتك فيه ، كما تساهمنا وتشاركنا في الأحوال السلطانية والأمور الدنيوية .»[1].

وقال عنه الأمير الحافظ أبو نصر ابن ماكولا[2]في إكماله : «ذو الوزارتين القاضي الإمام أبو الوليد سليمان بن خلف بن أيوب الباجي من باجة الأندلس، متكلم فقيه أديب وشاعر ...ورجع إلى الأندلس فروى، ودرّس وألّف، فقرأت عليه كتاب التمييز لمسلم عن أبي ذر الهروي، وحضرت مجالسه، وكان جليلا، رفيع القدر والخطر»[3] .

وهذا تلميذه القاضي أبي علي بن سكرة الصدفي (541هـ) الحافظ يقول في حق شيخه: « ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي، وما رأيت أحدًا عاليًا كسمته وهيئته، وتوقير مجلسه، ولما كنت ببغداد، قدم ولده أبو القاسم أحمد، فَسِرت معه إلى شيخنا قاضي القضاة أبو بكر الشامي، فقلت له أدام الله عزك، هذا ابن شيخ الأندلس، فقال: لعله الباجي ؟ قلت نعم، فأقبل عليه .»[4]، و قال هو أحد أئمة المسلمين [5] .

وقال في حقه الفتح ابن خاقان: « بدر العلوم اللائح، وقطرها الغادي الرائح، وتَبِيرُهَا الذي لا يزحم، ومنيرها الذي ينجلي به ليلها الأسحم، كان إمام الأندلس الذي تقتبس أنواره وتنتجع نجاده وأغواره قطف من العلم أزاهرا، و تفنن في اقتنائه... »[6]

ووصفه القاضي عياض في ترتيب المدارك بقوله: «كان أبو الوليد رحمه الله، فقيهًا نظّارًا محققًا، رَاوِيةً محدثا، يفهم صيغة الحديث ورجاله، متكلمًا أصوليًا فصيحًا، شاعرًا مطبوعًا، حسن التأليف، متقن المعارف، له في هذه الأنواع تصانيف مشهورة جليلة، ولكن أبلغ ما كان فيها الفقه وإتقانه، على طريق النظّار البغداديين وحذّاق القرويين، والقيام بالمعنى والتأويل، وكان وقورًا مهيبًا، جيّد القريحة حسن الشارة »[7].

(1) ـ ابن بسام، المصدر نفسه، ق 2، م 1، ص96 .

(2)ـ هو أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن محمد الجربذقاني ثم البغدادي، الأمير الكبير، الحافظ، الناقد، النّسّابة، الحجة، صاحب كتاب " الإكمال في مشتبه النسبة " و كتاب " مستمر الأوهام " توفي سنة 487هـ للمزيد ينظر : الذهبي، المصدر السابق ، ج 18، ص ص 569 ـ 578 .

(3) ـ الحافظ ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف الأسماء والكنى و الأنساب، تص، تع : عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1993، ج1، ص468 .

(4) ـالقاضي عياض، المصدر السابق ، ج2، ص348 .

(5) ـ ابن باشكوال،المصدر السابق، ج1، ص319 .

(6) ـ ابن خاقان، المصدر السابق ، ص 599 .

(7) ـالقاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص347 .

وقال عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان: «...كان من أهل الأندلس ومن حفاظها[1].»

وذكره الضبي في مصنفه : «أبو الوليد فقيه محدث، إمام متقدم، مشهور عالم، متكلم، و له تواليف تدل على معرفته وسعة علمه . »[2]

وأشاد بذكره المقري في نفحه فقال عنه : « و مما يفتخر به أنه روى عنه حافظا المشرق و المغرب أبو بكر الخطيب و ابن عبد البرّ، و هما أسن منه .. »[3]

و قال فيه صاحب شجرة النور الزكية : « الحافظ، النظّار، العالم، المتفنن، المؤلف المتقن، المتفق على جلالته، علمّا و فضلاّ، ودينًا »[4]

و قد أثنى عليه القاضي المالكي الأندلسي أبو بكر ابن العربي(ت 543هـ) في القواصم و العواصم حسنًا تكلم على ما وقع في الغرب الاسلامي من الفتن، حتى قال بعد كلام طويل :« ... لو لا أن الله منّ بطائفة تفرقت في ديار العلم كالقاضي أبي الوليد الباجي، و أبي محمد الأصيلي، فرشّوا من ماء العلم على هذه القلوب الميتة، و عطّروا أنفاس الأمة الرقدة، و إلا لكان الدين قد ذهب ... و لكن تدارك الله سبحانه بقدرته و لطفه، ضرر هؤلاء بنفع هؤلاء..»[5].

لم تكن هذه الشهادات التي شهد له بها، شيوخه و تلاميذه و معاصروه و مناظروه بالثناء على شخصية الباجي العلمية فحسب، بل حتى الأمراء و ملوك الطوائف كانوا يتباهون به في مجالسهم، نذكر منهم المقتدر بالله الذي كان يشيد بالباجي في مجلسه و يجلّه و يقدرّه.

و في هذا السياق يقول ابن خاقان : «... ثم استدعاه المقتدر بالله فسار إليه مرتاحا، و بدا في أفقه ملتاحًا، و هناك ظهرت تواليفه و أوضاعه، ... و كان المقتدر يباهي بانحياشِه إلى سلطانه، و إيثاره لحضرته باستطانه، و يحتفل في ما يرتبه له و يجريه و ينزله في مكانه متى كان يوافيه »[6]

(1)ـ ابن خلكان، المصدر السابق ، ج2، ص408 .

(2) ـالضبي، المصدر السابق ،ج 2 ص 303 .

(3)ـمحمد مخلوف، المصدر السابق، ص 121 .

(4) ـ نصر سلمان، المرجع السابق، ص 59 .

(5) ـأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، أزهار البستان في طبقات الأعيان، تح : عبد السلام العمراني الخالدي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2020م ، ص 82 .

(6) ـ ابن خاقان، المصدر السابق، ص 600 .

كما انتدبه للرّد على دعوة الراهب الفرنسي الذي دعا الأمير المقتدر الى اعتناق النصرانية مفندا دينه بقوة حتى دعاه إلى الدخول في الاسلام[1].

هذا قليل من كثير على ما قاله فيه أهل زمانه، و من جاء بعده من كبار العلماء بصدق و حق، بما تميز به عن أقرانه و أصحابه و مدى بلوغه من تفوق علمي و نبوغ فكري .

المبحث الثاني: آثار الإمام الباجي العلمية :

أولاً: مناظرات الباجي العلمية و آراؤه الجدلية :

على الرغم من ضلوع الإمام أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي في العلوم الدينية و الأدبية، و حيازته الرئاسة العلمية بالأندلس، إلا أنه « أبلغ ما كان فيها في الفقه و علم المناظرة فبرع فيهما على طريق النظّار من شيوخه و أساتذته البغداديين، و حُذَّاق القرويين و القيام بالمعنى و التأويل »[2]، أمثال : الشيرازي و الدامغاني و الصيمري و غيرهم ممن تلقى عنهم و أخذ عنهم قواعد و أسس هذا الفن، فسخر قدراته الفكرية و خاض العديد من المناظرات الفقهية ذات الطابع الفكري الجدلي المحض، من أجل الدفاع عن عقيدة المسلمين السنية، و تصحيح بعض أوجهها من التوجهات المذهبية وفق أصول و مبادئ المذهب المالكي، فكانت له مناظرات مع أشهر علماء الأندلس وقتذاك، و أظهر تفوقاً بارزاً على مناظريه .

01 ـ مناظرات أبي الوليد الباجي ضد المذاهب الخارجية بالمشرق:

نوهت المصادر التاريخية إلى المكانة العلمية التي حظي بها الإمام الباجي من قبل السلطة السياسية و علمائها لبعض دول المشرق الاسلامي و خصوصًا ببلاد الشام، في بدايات حياته العلمية خلال رحلته إليها[3]، فأهلته تلك المكانة في الدفاع عن المذهب المالكي في حلب، ضد المذاهب الخارجية، التي طغت على البلاد و استولت عليها، فبرز الباجي كفقيه مناظر لهم، و مجادلا إياهم، بسبب معرفته لطرق المجادلة و المناظرة، تمكن الباجي من دحض أفكار الشيعة و المعتزلة في حضرة مجلس الأمير معز الدولة أبو علوان ابن صالح الكلابي (ت 454هـ/1062م) [4] ، مما جعل هذا الأخير يترك المذهب الشيعي و يتحول إلى مذهب أهل السنة، بل تعداه الى إخراج أنصاره على حدود بلده بسبب

(1) ـ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 282 .

(2) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 348.

(3) ـ المقري، المصدر السابق، ج2، ص 67 .

(4) ـ هو معز الدولة أبو علوان أبو صالح المرداسي الكلابي، تولى حكم حلب سنة 314هـ/945م، تصدر الصراع مع الفاطميين، ثم تبنى فكرهم. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص351 ـ 353 .

تعصبهم على الفقيه الباجي الذي جلس للإقراء بها، و فسح له ذلك المجال أن يُوَلى قضاء المدينة، إضافة إلى ذلك أنه كتب كتبا قيّمة، ضبط فيها آداب المناظرة، و طرقها و أساليبها، حتى تكون مثمرة و مفيدة، و من أبرز كتبه كتاب " المنهاج في ترتيب الحجاج"[1] .

02 ـ مناظرة أبي الوليد الباجي لابن حزم الظاهري:

خاض فقهاء المالكية بالأندلس مناظرات عدّة مع محمد بن سعيد ابن حزم، الذي كان ظاهري المذهب، و الذي لمع نجمه في بلاد الأندلس، و عُرف فضله و تفوقه العلمي، و ما كان يتمتع به من غزارة علم، و قوة للذاكرة، وكثرة الإنتاج الفكري في مختلف الفنون والعلوم[2]، فأفرط القول بظاهر النصوص التي أشاعها في ربوع الأندلس، فحصنها بقوة بيانه و حماها بحدة لسانه[3].

ابتدأت أحداث هذه المناظرة، بعد أن كسر صولة الفقهاء المالكية، خاصّة و أنّهم لا مراس لهم بفن الجدل، فاستنجدوا بالباجي بعد عودته من المشرق، محملا بزاد معرفي كاف في علم الجدل وآدابه وعلم الشريعة والأصول والعقليات، فضلا عما كان يتمتع به من قدرات فكرية عالية، تؤهله للدخول في مناظرات علمية تكشف للناس الحق، وتساعدهم على فهم الحقيقة، لبى الدعوة وقبِلها، بعدما عرف من أحواله الكثير، إرادة منه أن تكون هذه المناظرة سبيلا لانتشار المذهب المالكي، والرغبة في رد الاعتبار للائمة الفضلاء الذين كانوا عرضة للسان ابن حزم الشديد، وهكذا التقى الرجلان بميورقة سنة 439هـ/ 1047م، بحضرة الوالي أبي العباس أحمد بن رشيق الكاتب[4]، وتحت رعايته جرت بينهما مناظرة في موضوعات متفرقة أصولية بصورة خاصّة، تصب في مسألة نفي القياس وإبطال الرأي، وتعليل الأحكام، وما يترتب عن هذه القضايا، من فروع فقهية[5]، وحسب جمهور المؤرخين فإن ابن حزم خرج من هذه المناظرة مغلوبًا بالحجج والأدلة التي أقامها عليه أبو الوليد الباجي وجادله بها وأبرز هزيمته[6]، فكانت مناظراته أكثر دقة في طريقة فهم الموضوع و في تسلسل الاحداث و سوق تحليل غايته[7] ونتج عن هذا التفوق خروج ابن حزم من مدينة

(1) ـ وائل أبو صالح، أبو الوليد الباجي حياته و مناظراته العلمية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج15، 2002م ، ص 218 .

(2) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص ص349-350 .

(3) ـ المقري، المصدر السابق، ج2، ص 78.

(4) ـ ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص ص128 ـ 129 .

(5) ـ الباجي، الاشارة، المصدر السابق، ص 107 .

(6) ـالقاضي عياض، المصدر السابق،ج2، ص350 .

(7) ـ عبد المجيد تركي، مناظرات في أصول الشريعة بين ابن حزم والباجي، تح عبد الصبور شاهين، ومحمد عبد الحليم محمود ، دار الغرب الإسلامي، بيروت،، ط1، 1986، ص21 .

ميورقة[1]وحسبما ذكر أكثر المؤرخين فإنّ الظفر كان للباجي، وفي هذا الصدد يميل القاضي عياض في ترتيب المدارك إلى أن النصر كان لصالح الباجي، فيقول على لسان الباجي : " فَجَرَتْ لي معه مجالس كانت بسبب فضيحة ابن حزم وخروجه من ميورقة، وقد كان رأس أهلها، ثم لم يزل أمره في سفال، فيما بعد قام على اثرها المعتمد بن عباد على إحراق كتبه باشبيلية"[2] .

غير أن بعض المؤرخين المعاصرين كأبي زهرة يذهب بالقول: ((لقد خرج ابن حزم من ميورقة من غير أن يكون مغلوبًا في الحجاج، ولكن لأنّه فَقَدَ النصير المؤيد، ولم يعد الانتصار للحجة والبراهين، بل سار لمن هو أكثر عددًا وأعز نفرًا))[3]، و ذلك أن ابن حزم ليس بالخصم الهين الذي يسهل كسره[4]، و هناك رأي آخر ذهب إليه المحقق الدكتور محمد محمد علي فركوس أنّه لا نستطيع الجزم بتفوق طرف على آخر فيقول: و حاصل ما سبق أنّه يتعذر علينا بتفوق أحد العَلَميْن في مقابلتهما ما دمنا لم نطلع على مضمون المناظرة، فمحتواها العلمي سوى ما ساقه المؤرخون بالنسبة لهزيمة لابن حزم و الانتصار للباجي، وهذا بغض النظر عن المتفوق منهما فان ابن حزم لم يفقد انصافه اتجاه الباجي، بل نعته بما هو أهله[5]و الجدير بالذكر فإن هذه المناظرة العلمية على الرغم من فوائدها و آدابها فإن المؤرخين لم يشيروا إلى الموضوعات والقضايا التي كانت محل المناقشة بل أشاروا إلى ذلك من خلال كتاب "فرق الفقهاء" لأبي الوليد الذي ذكر فيه جميع مناظراته[6]، و هذا الأخير لم يصل ألينا، فهو من المصادر المفقودة، لذلك يتعذر الكشف عن وجوه المناظرة، و الظاهر منها بحجته[7].

كما كانت بينهما مناظرة أخرى قد وصلت إلى تناول قضايا شخصية هامشية[8]، فيما يرويه المقري قائلا: ((و لما ناظر ابن حزم، قال له الباجي: أنا أعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقناديل بائت السوق، رد عليه ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، إنما طلبتها في تلك الحال

(1) ـ الحميدي، المصدر السابق، ص213 .
(2) ـ أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي القاهرة، 1996، ص ص 560-562 .
(3) ـ أبو زهرة، المرجع السابق، ص 522 .
(4) ـ المقري، المصدر السابق، ج2، ص 77 . آنْخِل جنثالث، المرجع السابق، ص 426 .
(5) ـ الباجي، الاشارة، المصدر السابق، ص 109 .
(6) ـ عبد المجيد تركي، المرجع السابق،ص20 .
(7) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 108 .
(8) ـ الباجي، التعديل و التجريح، ص ص 112 ـ 113 .

رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرْجُ به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فأفحمه»[1].

03 ـ مناظرة أبي الوليد الباجي لبعض علماء عصره:

بعد عودة أبي الوليد الباجي بزاد علمي كاف من علم الجدل و المناظرة، الذي تلقاه من أصولي المشرق، لاسيما شيخيه أبي الطيب الطبري، و أبي اسحاق الشيرازي، إلى الأندلس، فأثناء تنقلاته خاض العديد من المناظرات و المجادلات العلمية مع الخصوم من فقهاء بلده [2]، سواء الذين كانوا في "مرسية" مع أبي حفص عمر بن حسين الهوازني الهوازني كبير فقهاء أشبيلية[3]، وأبو محمد بن سهل المرسي، و أبي بكر بن الصائغ وغيرهم، فأقام عليهم الحجة، وأثبت البينة وعزز الدليل بما حباه الله من إمكانيات فكرية وعلمية تساعده على ذلك، فاكتسب سمعة كبيرة بين رجال العلم والعلماء.

و يعود سبب هذه المناظرة إلى أن أبا الوليد الباجي قرئ عليه وهو بدانية[4]، حديث المقاضاة في صلح الحديبية الذي أخرجه البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال : (فلما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يَدَعُوه يدخل مكة حتى قاضاهم، على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقالوا : لا نقر لك بها، فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك ، لكن أنت محمد بن عبد الله، قال : أنا رسول الله، و أنا محمد بن عبد الله، ثمّ قال لعلي، امح رسول الله، فقال: لا و الله، لا أمحوك أبدا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلاّ في القراب و أن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه و ألا يمنع من أصحابه أحد أراد أن يقيم بها.)[5]، فتكلم أبو الوليد الباجي بظاهر لفظ الحديث، أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده و هو لم يكن يحسن يكتب[6]، و جزم

(1) ـ المقري، المصدر السابق، ج2، ص77

(2) ـ الباجي، الإشارة، المصدر السابق، ص 106 .

(3) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص ص349-350

(4) ـ دانية: مدينة بالأندلس تقع على ضفة البحر الأبيض المتوسط شرقا ، ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج2، ص .434

(5) ـ البخاري، كتاب الصلح، رقم الحديث، 2699، دار ابن كثير، دمشق، بيروت،ط1، 1423هـ/2002م، ص 659.

(6) ـ أبو الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1403هـ/1983م، ص 202. 202.

بكتابته اعتمادًا على ما ورد في الحديث، و تناول هو " الكتاب" بيده و محى ذلك و كتب : (هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله) الأمر الذي أثار استياء علماء وفقهاء مدينة دانية وعلى رأسهم أبو بكر بن الصانع[1] .

04 ـ مناظرة الباجي مع راهب فرنسا:

لقد حفظ لنا التاريخ نماذج من المناظرات أجراها بعض علماء الاسلام مع مختلف الفرق و الديانات، كرسالة راهب فرنسا الى الأمير الاندلسي المقتدر بالله حاكم سرقسطة يدعوه فيها الى الدخول في النصرانية و يشرح له فيها أصولها و هذا دليل على الانهزام الحضاري مما جرأ عليهم أمثال هذا الراهب، فرد عليه الباجي رداً مفحمًا مبينا بطلان معتقده، و تهافت دعوته النصرانية، بمنهج جدلي لم يبق فيه للنصراني مجالا للدفاع عن دعوته[2]، و كانت هذه المنظرة عن طريق المراسلة[3].

05 ـ محنة الإمام أبي الوليد الباجي:

حقق الإمام أبو الوليد الباجي تفوقًا علميًا و فكريًا من خلال مناظراته لكثير من علماء عصره، و أيضًا من دروسه التي كان يلقيها على تلامذته و طلابه، فأحبه النّاس و التفوا حوله، غير أنه تعرض إلى محنة قاسية، أثرت على سمعته و حب النّاس له ردحًا من الزمن .

و يرجع سبب هذه المحنة، إلى جواب أبي الوليد الباجي حول حديث المقاضاة في صلح الحديبية فاتهمه بعض العلماء بالفسق و الفجور، فكفروه بتكذيب القرآن الكريم فهَوَّلُوا أمره، وأخذت هذه المسألة طابع الفتنة وقبّحوا عند العامّة ما أتى به، حيث أنه كان يريد التعمد بمخالفة آراء العلماء، وإظهار نفسه تملقا للولاة والأمراء بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حيث أجازوا لأنفسهم إطلاق اللعنة عليه، والتبرؤ منه، كما يظهر ذلك جليا في أشعارهم التي تناولها بعض خطبائهم في الجمعة فوق المنابر تشنيعا به، حيث قال عبد الله بن هند :

برئتُ ممن شرى دنياه بآخرة * * * و قال أن رسول الله قد كتب[4].

(1) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص349 .

(2)ـ الباجي، رسالة راهب فرنسا الى المسلمين و جواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1406هـ/1986م، ص 49 .

(3) ـالباجي، التعديل و التجريح، المصدر السابق،ج1، ص 149 .

(4) ـ الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج18، ص 540 .

وعلى إثر ذلك قام الناس بشكايته إلى أمير دانية، حيث جمع هذا الأخير في مجلسه الخصم المشَكل من فقهاء إمارته بأبي الوليد الباجي لإقامة مناظرة علمية حول هذا الموضوع ليتبين الأمر ويستظهر الحق، ويطلع على أدلة كل فريق فاحتجوا عليه بقول الله تعالى: " وَما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون"، واستظهر أبو الوليد للأمير بقوله لا منافاة ولا تعارض بينما ذكره القرآن الكريم وبينما ذكرته من إجازة كتابة النبي الأمي، انطلاقا من مفهوم الآية السابقة، ذلك أن الله نفى عنه التلاوة والكتابة بما كان قبل نزول القرآن الكريم، والتقييد بنفي ذلك، وأما بعد تحقيق أمنيته وتقرير معجزته، وأمن ارتياب أهل الكتاب ليس فيه ما يحول دون معرفة الكتابة من غير تعليم أو علم فتصير معجزة ثانية[1]، فأفحمهم بما كان يتمتع به من حجج دامغة وبراهين قوية.

و في غمرة هذه المحنة تصدى أبو الوليد الباجي لمعارضيه بسلوك المنهج العلمي، فألف رسالته الموسومة بـ .:" تحقيق المذهب في أن النبي كتب"، و طلب من أمير دانية أن يكتب في المسألة الى علماء إفريقية و صقلية، برغبة الباجي في ذلك، فجاءت الأجوبة من هنالك بتصديقه و تصويب مقالته، أدى ذلك الى تسليم بعض القوم برأي الباجي[2] .

إن هاته المناظرات العلمية التي خاضها الحافظ أبو الوليد الباجي مع علماء عصره لم تنقص من قيمته العلمية ولا اجتهاده ، خاصة في محنته ، إنما زاده ذلك علوًا في قدره وشرفًا في علمه، من خلال شهادة علماء عصره ، وخاصة المشارقة منهم ، عندما استفتوا في هذه القضايا، فزكوه وأثنوا عليه وعلى علمه .

ثانيًا: مؤلفات الإمام أبي الوليد الباجي و آثاره العلمية.

يُعد الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، أحد أبرز قادة الفكر الأندلسي، الذين بَلَغُوا ذروة المجد العلمي و النبوغ الفكري، خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، فقد ساهم بدور عظيم في اثراء المكتبة الاسلامية بالعديد من المؤلفات النفيسة، و المصنفات الكثيرة و الجليلة، في شتى صنوف العلم و المعرفة، فترك ـ رحمه الله ـ آثارا علمية نافعة، و ثروة وافرة قيمة من الكتب و الرسائل[3]، فكان ثمرةُ ذلك علمًا جمًا، و كتبًا ذاع صيتها في الآفاق، امتدحها العلماء عبر العصور، و تلقاها أهل المشرق و المغرب بالقبول على حد سواء[4] وصفها ابن خلكان

(1) ـ أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح عبد الله بن المحسن التركي،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م، ج13، ص352 .

(2) ـ النباهي، المصدر السابق، ص 202 .

(3) ـ الباجي، الإشارة، المصدر السابق، ص 121.

(4) ـ محمد ابراهيم علي، مصطلح المذهب عند المالكية، دار البحوث للدراسات الاسلامية و احياء التراث، الامارات العربية المتحدة ـ دبي ـ ط1، 1421هـ/2000م، ص 301 .

بقوله: « و صنّف أبو الوليد كتبًا كثيرة»[1] ، تدل على عظيم معرفته و سعة علمه[2] ، ظهرت بعد استقراره عند المقتدر بن هود، و في هذا الشأن يقول ابن خاقان: «و هناك ظهرت تواليفه و أوضاعه و بدأ وخذه في سبل العلم و ايضاعه[3].

أ/ المؤلفات المطبوعة:

بذل أبو الوليد الباجي جهودًا مُضْنِيَة في سبيل تقديم إضافة علمية إلى الخزينة الاسلامية من خلال إنتاجه الفكري و معارفه الواسعة، فقد خلّف ـ رحمه الله ـ رصيدا ضخما من المصنفات الكثيرة والمؤلفات القيمة والمفيدة، منها ما هي على شكل كتاب، ومنها ماهي على شكل رسائل صغيرة ،كلها تناولت موضوعات متنوعة تفصح عن غزارة علمه، و سعة فكره، وفي هذا المقام سنكتفي بذكر أشهر مؤلفات الباجي و أهم مصنفاته :

01 ـ المنتقى في شرح موطأ مالك.

و هو من أنفس الكتب التي أُلِّفت في فقه مذهب مالك، شرح فيه فقيهنا أحاديث الموطأ و فرّع عليها تفريعًا حسنًا[4]، و هو في الأصل اختصار لكتابه الاستيفاء، ألفه المؤلف ليكون أقرب للفهم لكل طالب علم، يقول المؤلف في مقدمة كتابه المنتقى: «إنّ الكتاب الذي ألفت في شرح الموطأ المترجم بكتاب الاستيفاء، يتعذر على أكثر النّاس جمعه، و يبعد عنهم درسه، لاسيما لمن لم يتقدم له في هذا العلم نظر، ولا له فيه بعد أثر، فإن النظر فيه يُبلد خاطره، ويُحيّره، و لكثرة مسائله و معانيه يمنع حفظه و فهمه، و إنما هو لمن رسخ في العلم و تحقق بالفهم، و رغبت أن اقتصر فيه على الكلام في معاني ما يتضمنه الكتاب من الأحاديث و الفقه»[5].

و لقد جمع الامام الباجي في تطبيق منهجه في مؤلفه هذا بين الطريقتين الفقهيتين المالكتين: العراقية، و القيروانية، مع إحاطته بآراء أمهات الكتب المالكية دون اغفال مقارنتها مع المذاهب الأخرى[6].

02 ـ فصول الأحكام و بيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء و الحكام:

(1) ـ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 409 .

(2) ـ الضبي، المصدر السابق، ج 2، ص 386 . المقري، المصدر السابق، ج2، ص 69.

(3) ـ ابن خاقان، المصدر السابق، ج2، ص 600 .

(4) ـ المقري، المصدر السابق، ج2، ص 69 .

(5) ـ القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، المنتقى شرح موطأ مالك، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ ـ 1999م، ج1، ص 201 .

(6) ـ محمد ابراهيم علي، المرجع السابق، ص 304 .

الكتاب يندرج ضمن صنف المؤلفات في الأقضية و الأحكام، التي اهتم بها فقهاء الأندلس، و أثراها علماؤهم بمدوناتهم التي اختلف في أسلوبها بسطًا و إيجازًا[1] ، و الكتاب ليس من الأمهات المطولة المستوعبة بل هو مختصر في موضوعه توخى مؤلفه فيه سبيل الإيجاز[2] كما نوه المؤلف نفسُه في مقدمة كتابه فيقول: « فقصدت في ذلك إلى الطريق المعتاد من الايجاز و الاختصار، و ترك التطويل و الإكثار»[3] فهو يحتوي على مسائل تتعلق بقضايا القضاء و الشهادات و اليمين و إجراءات التداعي، و مسائل تتعلق بالأحكام التي يرجع إليها القاضي و يطبقها بعد البحث في الدعوى، و يسير عليها في حكمه، و كما يرجع إليها المفتي ليفتي النّاس بها[4].

03 ـ كتاب الإشارة في معرفة الأصول و الوجازة في معنى الدليل:

وهو اختصار لكتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول، و الكتاب على اختصاره و صغر حجمه، فإنه مستوعب لمسائل أصولية نفيسة مفيدة للمبتدئ و لا يستغنى عنه الباحث فيما يتعلق بأصول المذهب المالكي، حيث أشار فيه مؤلفه إلى أهم المسائل الأصولية، إشارة موجزة و مختصرة، فبدأ أولاً بتعريف المصطلحات الأصولية المالكية على نحو ما هو موجود في كتابه " الحدود في أصول الفقه"، مستدلا بالأدلة الشرعية، و مشيراً إلى آراء شيوخه كأبي اسحاق إسماعيل الجهضمي(ت282هـ)، و أبي بكر الأبهري (ت375هـ)، و ابن القصّار الشيرازي(ت398هـ)، و أبي بكر الباقلاني(ت403هـ)، و غيرهم كثير[5] .

04 ـ إحكام الفصول في أحكام الأصول:

يعتبر هذا الكتاب من أجود ما كتب في علم أصول الفقه، و بالذات أصول المالكية، و جمع فيه المؤلف أقوال و آراء كثيرة من أئمة المذهب المالكي و المشهور منها و بيان ما يُعزي من ذلك إلى الإمام مالك، مع الاستدلال و الترجيح [6] .

05 ـ التعديل و التخريج لمن خرج عنه البخاري في جامع الصحيح:

(1) ـ الباجي، فصول الأحكام، المصدر السابق، ص 83 .

(2) ـ محمد ابراهيم، المرجع السابق، ص 305 .

(3) ـ الباجي، المصدر السابق، ص 85 .

(4) ـ الباجي، المصدر نفسه، ص 84 .

(5) ـ الباجي، الاشارة، المصدر السابق، ص 78 .

(6) ـ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تح: عبد الله محمد الجبوري، دار الرسالة، بيروت، ط1، 1409هـ/1989م، ص 44 .

ترجم فيه المؤلف رواة صحيح البخاري، مبينًا ما صح عنده من الكُنَى و الأسماء، و ما ذكره العلماء من أحوالهم[1] .

ب / المخطوطات و ما في حكم المفقود:

كما توجد للحافظ أبي الوليد الباجي مصنفات أخرى في الفقه و أصوله بعضها أحال إليها الإمام الباجي في بعض كتبه الفقهية، و البعض الآخر ذكرت في كتب التراجم و الطبقات والتي لاتزال مخطوطات أو في حكم المفقود، نورد أبرزها و أهمها :

1 ـ الاستيفاء شرح الموطأ[2]: و هو كتاب في الفقه، شرح فيه أحاديث الموطأ كاملا، و قد أشار الباجي إليه، في مقدمة كتابه المنتقى.

2 ـ الإيماء[3]:و هو كتاب فقهي مختصر لكتابه المنتقى.

3 ـ السراج في عمل الحِجاج[4]: و هو كتاب في مسائل الخلاف لم يُتم تأليفه .

4 ـ شرح المدونة: و هو كتاب شرح فيه الباجي المدونة، وقيل أنه لم يتم شرحَها [5].

5 ـ فرق الفقهاء[6]: وضعه أساسا لجميع مناظراته التي أجراها مع الفقهاء .

6 ـ مختصر المختصر في مسائل المدونة[7]: و هو كتاب فقهي مختصر لاختصار المدونة .

7 ـ المقتبس في علم مالك بن أنس[8]: كتاب في الفروع، لم يكمل الباجي تأليفه.

---

(1) ـ الباجي، التعديل و التخريج، المصدر السابق، ج1، ص 273 .

(2) ـ الباجي، المنتقى، المصدر السابق، ج1، ص ص 201 ـ 202 . القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص350 .

(3) ـ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 121. الذهبي، السير، المصدر السابق، ج18، ص 538 .

(4) ـ القاضي عياض، المصدر السابق،ج2، ص 350 . الذهبي، تذكرة الحفاظ، المصدر السابق،ج3، ص 1180 . المقري، المصدر السابق، ج1، ص355. ص355.

(5) ـ ابن فرحون، المصدر السابق، ص 122 . الداودي، طبقات المفسرين، ج 1، ص 210 .

(6) ـ ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 181 . المقري، المصدر السابق، ج 2 ص 275 .

(7) ـ مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 121 .

(8) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2،ص 360 .ابن فرحون، المصدر السابق، ص122 .

8 ــ المهذب في اختصار المدونة[1]: و هو من أحسن الكتب التي اختصرت المدونة، يقول اللخمي: "أخْتُصِرت المدونة نحوًا من اثنين و ثلاثين اختصارًا ليس فيها أحسن من المهذب للباجي.[2]

9 ـ الناسخ و المنسوخ في الأصول[3]: أيضا لم يتمه الباجي .

كما ترك ــ رحمه الله ــ رسائل نفيسة و ردود على مناظريه كرسالته على "رسالة الراهب الفرنسي"[4]، و " الانتصار لأغراض الأئمة الأخيار"[5]، و " تحقيق المذهب في أن رسول الله كتب " و هي رسالة ألفها الباجي ردا على علماء دانية المعارضين له و الذين رموه بالكفر و الزندقة لأجل قوله في حديث المقاضاة في صلح الحديبية مع أمّيّته فقد كتب بيده صلى الله عليه و سلم،[6] و هناك رسائل أخرى عالج فيها الباجي مسائل تحمل الصبغة الفقهية و الطابع الطابع الخلافي كمسألة مسح الرأس و غسل اليدين، و مسألة اختلاف الزوجين في الصّداق في الفقه المالكي، و غيرها [7].

(1) ـ ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص 1388.

(2) ـ الباجي، فصول الاحكام، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ص 59 ـ 60 .

(3) ـ القاضي عياض، المصدر السابق،ج2، ص350 . ابن فرحون، المصدر السابق، ص 122 .

(4) ـ فؤاد بن عبيد، المرجع السابق، ص 76.

(5) ـ الذهبي، السير الاعلام، المصدر السابق، ج18، ص 538.

(6) ـ الباجي، الاشارة، المصدر السابق، ص 134.

(7) ـ قدم لنا المحقق الشيخ محمد علي فركوس في تحقيقه لكتاب الإشارة في معرفة الأصول و الوجازة في معنى الدليل، دراسة مركزة و شاملة لمؤلفات أبي الوليد الباجي العلمية، المطبوعة منها و المخطوطة، و هي دراسة قيمة جدا، ينظر: كتاب الاشارة، ص ص 121 ـ 136 . و ينظر أيضا: المحقق محمد أبو الأجفان، مقدمة كتابه، فصول الأحكام، ص ص 59 ـ 78 .

ـ خلاصة الفصل الأول:

و الذي يمكن التوصل إليه في الفصل الأول، أن أبا الوليد الباجي مرت حياته بأطوار تعليمية التي صنعت منه العالم الهمام، الذي عرف بعلو كعبه في العلم، كما أشاد له بذلك غير واحد سواء من شيوخه أو أقرانه أو تلاميذه، و بقيت كتبه العلمية و مصنفاته في شتى الفنون شاهدة على ذلك، كما تميز ت شخصية الإمام الباجي بالشخصية الجدلية من خلال مناظراته التي عقدها مع كبار العلماء و غيرهم .

الفصل الثاني

الفصل الثاني : الإصلاح عند أبي الوليد الباجي

أولا: الإصلاح السياسي عند أبي الوليد الباجي .

01 ـ دوافع أبي الوليد الإصلاحية و دعوته لتوحيد الأندلس.

02 ـ مستويات الإصلاح السياسي عند الباجي:

02 ـ 01 ـ إصلاح الراعي (المستوى القيادي) .

02 ـ 02 ـ إصلاح الرعية(المستوى القاعدي الشعبي).

03 ـ أسباب فشل الإصلاح السياسي.

ثانيا: الإصلاح العلمي التربوي عند الباجي .

01 ـ ميادين الاصلاح العلمي و التربوي .

02 ـ مراحل الإصلاح التربوي والعلمي .

ثالثا: الإصلاح القضائي عند الباجي .

01 ـ تولي أبو الوليد الباجي منصب القضاء .

02 ـ إصلاح الباجي للسلطة القضائية و ضبط الفتوى .

1. الإصلاح عند الإمام أبي الوليد الباجي:

نحاول في هذا الفصل تسليط الضوء على جملة الإصلاحات، التي اشتغل عليها الإمام الباجي، و التي مست مجالات متعددة، متطرقين أولا إلى الإصلاح السياسي، من خلال دوافعه، و دعوته لتوحيد الأندلس على المستوى القيادي و القاعدي، خلوصًا إلى أهم أسباب فشل هذا الإصلاح، كما سنتناول بعده نشاط الباجي وإصلاحه العلمي و التربوي، معرجين إلى ميادينه، و مراحله، وفي الأخير نتناول الإصلاح القضائي من خلال توليه لهذا المنصب و محاولته إصلاح السلطة القضائية و ضبط الفتوى .

أولا: الإصلاح السياسي عند أبي الوليد الباجي :

01 ـ دوافع أبي الوليد الباجي الإصلاحية و دعوته إلى توحيد الأندلس:

كان الواقع السياسي غير مستقر خلال الفترة التي عاشها أبو الوليد الباجي، وكانت الدولة حينها ضعيفة ممزقة، بل كانت عبارة عن إمارات يتولى أمرها مجموعة من الأمراء المتشاكسين الذين فقدوا مقومات القوة والزعامة، وأسس التضامن والتماسك، وتمثل في ظهور بعض الدويلات التي تستقل بنفسها و التي تقوم وتنهار[1].

لما عاد الإمام الباجي إلى الأندلس بعد رحلته العلمية المشرقية، وجد البلاد تموج في حالة احتقان سياسي بين ملوك الطوائف، الذين تقاسموا البلاد، وعاثوا فيها فسادًا فأهلكوا الحرث والنسل، حيث أورد ابن الخطيب قائلاً: " ذهب أهل الأندلس من الانشقاق و الافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الاقطار"[2]، أرّخت جُلّ المصادر التاريخية هذه الحالة، حيث حمل الباجي ابتداءً راية الإصلاح بين هؤلاء الأمراء، الذين بعدت بينهم الشقة، وأصبح بأسهم بينهم شديد، فنُقِل عن المقري في كتابه نفح الطيب، واصفًا حالة الإمام وهو ينتقل من مملكة لأخرى لرأب الصدع السياسي داعيًا الى توحيد صف المسلمين وجمع كلمتهم ، ويُحذر في المقابل من عواقب الاختلاف والاقتتال بينهم : ((لما قدم من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عامًا وجد ملوك الطوائف أحزابًا متفرقة، فمشى بينهم بالصلح و هم يجلّونه في الظاهر و يستثقلونه في الباطن، و يستدبرون نزعته و لم يفد شيئًا، فالله يجازيه على نيته .))[3]، عاين الإمام حال البلاد، فرأى في كثير من علماء عصره عضدًا وسندًا لهؤلاء الأمراء، يأكلون على كل مائدة ويتقلبون في خدمات كل قصر، يبررون لهم ظلمهم، وطغيانهم ويزكون أعمالهم وتصرفاتهم وابتزازهم لأموال الرعية، فاحتضنهم أمراء الطوائف وأغدقوا

(1) ـ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تح وتع: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1417هـ/1997م، ص27

(2) ـ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، المصدر السابق، ص 144 .

(3) ـ المقري: نفح الطيب، مصدر سابق، ج2،ص 77.

عليهم العطايا[1]،و يُصوّر ابن حيان هذه الظاهرة قائلا "... فالأمراء القاسطون ، قد نكبوهم عن نهج الطريق ذيادًا عن الجماعة ، وجريًا الى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صُمُوتٌ عليهم، صُدْفٌ عن ما أكده الله عليهم من التبيين لهم، فقد أصبحوا بين آكل من حلوائهم، وخابط في أهوائهم، وبين مستشعر مخافتهم، آخذ بالتقية في صدقهم ..."[2].

وفي ظل سكوت هؤلاء العلماء عن هذه الفتنة العظيمة، التي نزلت ببلاد الأندلس قام الباجي داعيًا الى إصلاح ذات البين هؤلاء الأمراء المتدابرين، لأن وحدة المسلمين أمر لابد أن يسعى إلى تحقيقه المسلمون كافة، لأنه مطلب ديني، أمر الله به و رسوله، إذ بدونه لا تكون للمؤمنين عزة، و لا تقوى لهم شوكة، بل يكونون لقمة سائغة لأعدائهم، وهو يعلم أن دعوته هذه، من أجّل العبادات، وأفضل الطاعات التي تقربه إلى الله زلفى، استهدف بدعوته توحيد جهود المسلمين، و الوقوف صفًا واحدًا متراصًا ضد الممالك الإسبانية ممثلة بفردلند الأول، وولده ألفونسو السادس، الذي يتربص بهم الدوائر، و بدأوا بحرب الاسترداد، تمهيدًا لطرد المسلمين من الاندلس، و لاسيما عندما ضغطوا على طليطلة[3] .

تباينت الروايات التاريخية حول طبيعة تطواف الباجي بين ملوك الطوائف، و سعيه في توحيد المسلمين، أكانت من تلقاء نفسه أم كُلِفَ بها؟[4]

أوردت لنا بعض المصادر التاريخية، كالذخيرة لابن بسام، إشارات نيرة حول النية الخالصة و الاحتساب الصادق لأبي الوليد، حيث شدّ بعزمه و سعيه الحثيث على جمع أمر الأمة الاسلامية منذ عودته من المشرق، فقال في هذا الشأن :" لأول قدومه رفع صوته بالاحتساب، و مشى بين ملوك أهل الجزيرة بصلة ما نبت من تلك الأسباب، فقام مقام مؤمن آل فرعون لو صادف أسماعًا واعية، بل نفخ في عظام ناخرة "، و هذا ما صاغه المقري في نفحه عنه[5].

و ذكر لنا ابن الأبار في الحلة السيراء رواية أخرى، مفادها أن أبا محمد عمر المتوكل بالله ابن الأفطس حاكم مدينة بطليوس، هو من انتدب قاضيه أبا الوليد الباجي،إلىالقيام بأمر الصلح بين ملوك الطوائف[6] يحثهم على التصّدي للمدّ النصراني و ترك النزاعات، فلبى هذا الأخير مطلبه، و تنقل بين الرؤساء ناصحاً و واعظًا إياهم، قال عن ذلك :"

(1) ـ عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص ص 240 – 241 .
(2) ـ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 254 .
(3) ـ ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، ص 98 .
(4) ـ عبد الرحمن علي حجي، المرجع السابق، ص 338 .
(5) ـ ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1، ص ص 95 ـ 96 . المقري، المصدر السابق،ج2، ص 77 .
(6) ـ القاضي عياض، المصدر السابق،ج2، ص 348 .

فلما عَظُمَ أمر أذفونش بن فردلند الأول، و تطاول على الثغور و لم يقنع بضرائب المال، فانتدب أبو الوليد و ندبهم إلى لمّ الشعث و مدافعة العدو، و يطوف عليهم واحدًا واحدًا، و كلهم يصغي إلى و عظه [1].

كما ذهب القاضي عياض في قوله: " جاء أبو الوليد الى المرية سفيراً بين رؤساء الأندلس يؤلفهم على نصرة الإسلام، و يروم جمع كلمتهم، مع جنود ملوك المغرب المرابطين على ذلك، فتوفي قبل تمام غرضه"[2].

يتضح لنا من روايتي ابن الأبّار و القاضي عياض، أن الإمام أبا الوليد الباجي، كُلِف بهذه المهمة، و لكن هذا الانتداب جاء متأخراً، عندما أحس الحكام بخطر العدو و مداهمتهم.

02 ـ مستويات الإصلاح السياسي عند الباجي:

انتهج أبو الوليد الباجي في مشروعه الإصلاحي ودعوته السياسية على مستويين :

1. على إصلاح الراعي(المستوى القيادي) من خلال تطوافه بين الحكام .

2 . على إصلاح الرعية(المستوى القاعدي) من خلال مجالسه العلمية.

02 ـ 01 ـ إصلاح الراعي: (المستوى القيادي):

جاب الباجي بلاد الأندلس شرقًا وغربًا يعرض فكرة الصلح السياسي على ملوك الطوائف حيث كرّس وقته وجهده في كل مملكة يقيم بها.

***مملكة بطليوس:** بدأ أبو الوليد دعوته في المدينة التي ولد بها، و التي تقع غرب الأندلس تحت حكم وسيطرة بني الأفطس من البربر، حظي هذا الأخير بترحيب كبير من حاكمها المتوكل بالله، حيث استعمله في حفظ الأمانات وأجزل له العطاء وولاه القضاء، وكان سنده ودعمه في مشروعه السياسي، وشد من عضده[3].

***مملكة بلنسية:** تقع شرق الأندلس، قدم إليها الباجي سنة 468 هـ ، ووجد من حاكمها قبولا وترحيبا ، باهى به المقتدر وبإنجازاته فكان يحتفي به ويرتب له، ويجازيه وينزله في مكانه متى كان يوافيه[4] .

(1) ـ ابن الابار، المصدر السابق، ج2، ص 98 .
(2) ـ القاضي عياض، المصدر السابق،ج2، ص351 .
(3) ـ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 337 .
(4) ـ عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص343 .

* **مملكة سرقسطة** : دخلها الباجي عدة مرات وأقام بها داعيًا ردحًا من الزمن، يعمل على الاتصال بحاكمها والدعوة في محافلها[1].

* **مملكة المرية**: هي آخر المدن التي زارها الباجي وبها توفي سنة 474 هـ، وقيل أنه جاءها سفيرًا بين رؤساء الأندلس، يؤلفهم على نصرة الإسلام، ويروم جمع كلمتهم، توفي بها قبل إتمام غرضه[2].

ذكرت المصادر التاريخية عدداً يسيرًا من تلك الممالك التي زارها الباجي في اطار جهوده الإصلاحية، فالمؤرخون لا يملكون صورة كاملة ومفصلة عن هاته الجولات ولا تاريخها، لكن طول المدة التي عاشها الإمام بعد عودته من المشرق، و التي تقارب خمسًا و ثلاثين سنة، كشفت لنا مدى كثرة المماليك التي قصدها .

02 ـ 02 ـ إصلاح الرعية(المستوى القاعدي الشعبي):

عاد الباجي من رحلته العلمية، التي دامت ثلاثة عشر سنة، محملاً بزاد علمي غزير ومقام رفيع، حتى صارت تُضرب إليه أكباد الإبل، طلبا للعلم الشرعي، حتى غدت حلقاته التدريسية معمورة مشهورة، فسمع منه وروى عنه جمع غفير[3]، كان الباجي ـ في ثنايا هذه الحِلَقِ إضافة الى تلقيين العلوم الشرعية ـ يحدث طلبته، وعوام النّاس عن حال الانقسام السياسي الذي تتخبط فيه بلاد الأندلس، ويبين المفاسد المترتبة عن هذا الشقاق، كاشفًا مكر الأعداء خصوصا في حلقات شرح صحيح البخاري، في مملكتي بلنسية وسرقسطة[4]، والذي عقد في كتابه جزءا خاصًا سماه :" كتاب الفتن" ، وقد أدرج تحته عديد الأبواب، على سبيل المثال: باب ظهور الفتن، وباب التعوذ من الفتن، إذا التقى المسلمان بسيفيهما..الخ.

لا يمكن لعالم جليل كالباجي انتدب نفسه لإخماد نار الفتنة والانقسام بين أمراء الطوائف، أن يسكت أمام تلاميذه، و أمام هذه الفتن التي حلت بالأندلس، وهو يشرح هذه الأحاديث النبوية التي تحذر المسلمين من الفرقة وتنبههم على خطر الفتن، وضرورة اجتنابها والتعوذ منها[5].

لما اقترن تبليغ الإصلاح بين ملوك الطوائف وأمرائها سياسيا كان لزامًا وضروريا وَضْعَهم في الصورة وإفهامَها للرعية والعامّة، ليكونوا سواءً، لمجابهة الخطر الداخلي (الانقسام) ابتداءً والخطر الخارجي (مطامع الصليبيين) انتهاءً.

(1) ـ عبد الرحمن حجي، المرجع نفسه، ص ص343- 344 .

(2) ـ ابن خلكان، المصدر السابق، ج2 ، ص 409 .

(3) ـابن فرحون، المصدر السابق، ص 120.

(4) ـ عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 344 .

(5) ــ محمد بن محمد رفيع، معالم الفكر الأصولي المالكي من خلال فكر الباجي الاصولي، عالم الكتب الحديث، الأردن ، 2011م، ص 91 .

03 ـ أسباب فشل الإصلاح السياسي:

03 ـ 01 ـ رفض السلطة الحاكمة لدعوة الباجي:

إن جملة المساعي الحثيثة التي عقد العزم عليها الإمام أبو الوليد الباجي، في سبيل التخفيف من حدة الاختلاف السياسي بين أمراء المماليك، لم تأتِ أكلها وباءت بالفشل، بذل خلالها الباجي قصارى جهده، و أفرغ كلّ ما في وسعه، و طاف بين حكام الطوائف مؤديًا واجب النصح للأئمة، وواعظًا و منذرًا لهم من عواقب التشتت و التفرق و الخلاف، مظهرًا خطر عدوهم و وجوب صده، لكن لم تصادف دعوته الإصلاحية هذه، أسماعًا واعية، ذلك ما ذكره ابن بسّام في ذخيرته قائلا: «على أن الباجي لأول قدومه رفع صوته بالاحتساب، ومشى بين ملوك أهل الجزيرة ما أنبت من تلك الأسباب، فقام مقام مؤمن آل فرعون لو صادف أسماعا واعية، بل نفخ في عظام ناخرة، وعكف على أطلال دائرة، بيْد أنه كلما لقي ملكا منهم لقيه بالترحيب ظاهريا لكن باطنا كان يتجاهل نزعته ويستثقل طلعته، وما كان أفطن فقيه بأعمالهم وتدبيرهم لكن كان يرجو حالا تثوب ومذنبا يتوب »[1].

أضاع ملوك الجزيرة على أنفسهم فرصة ثمينة لتوحيد الصف، وبقي الصراع والتطاحن والاقتتال بالرغم ما كانوا يظهروه من قبول وترحيب بهذه المبادرة الإصلاحية، حيث كان للتنافس الشديد بين ملوك الطوائف أثره على السلطة، بحيث سارعوا إلى البحث عن المشروعية الدينية لسلطانهم، وذلك من خلال استغلال العلماء للحصول على التأييد الشعبي، قاموا بدعوة أصحاب الفضل من الأئمة الأعلام للإشراف على المراكز العلمية والإحسان إليهم، وتولية البعض منهم في وظائف عليا في المملكة كالقضاء والوزارة والفتوى والاستشارة وغيرها[2]،واستغلالا للثقة الكبيرة التي حظي بها هؤلاء العلماء، لدى عوام النّاس، وعليهم مدار التأثير على جهاتهم السياسية، مع ذيوع خبر غزارة علم هذا الإمام، وجلال قدره، وكبير القبول فيه، وقصد أخذ تبريكاته لتأييد سلطانهم.

03 ـ 02 ـ الانقسام الطبقي داخل المجتمع الأندلسي:

مع بداية الاضطرابات السياسية في عصر الطوائف تحول ذلك المزيج العرقي للمجتمع[3]من نعمة الى نقمة على أهل الأندلس، حيث أصبح بأس تلك القوميات فيما بينها شديد، راح كل فريق يكيد للآخر ويعتبره عدوه، بعد ما

(1) ـ ابن بسام، المصدر السابق، ق2، م1 ص ص 95 ـ 96 .

(2) ـ محمد عبد الوهاب خلاق، تاريخ القضاء في الاندلس من الفتح الإسلامي الى القرن الخامس الهجري، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1992م، ص137 .

(3) ـ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص ص 40 ـ 60.

كانوا بالأمس القريب وحدة متجانسة على قلب رجل واحد[1] وقف هذا التنوع العرقي سدا منيعا، في وجه أي مشروع، يدعوا الى توحيد الصف وجمع كلمة الأندلسيين، خاصّة في ظل استئثار العرب الأمويين بأمور الحكم والرياسة، وتوليتهم للأهل والأقارب، دون غيرهم، في المناصب القيادية، كالإمارة، والقضاء، والجيش وغيرها، من المسؤوليات المهمة، إضافة الى التباين المعيشي الكبير بين مكونات المجتمع الأندلسي، عرب ومن يواليهم، من وجهاء وأغنياء، وكبار التجار، والملّاك، حيث كانت تُصرف لهم رواتب من بيت المال، بينما عامّة الناس تعاني قسوة الحياة، وكدحا في المعيشة، وكان أغلبهم من البربر والموالي، والمستعربين واليهود[2]، ولّد هذا التفريق العنصري لدى هذه الأقليات شعورا بالتهميش، والاقصاء، والإهمال لدورهم في خدمة المجتمع وبناء الدولة[3]، كلّ تلك العوامل زادت في إذكاء نار الفتنة، وتأجيج الحروب الطائفية، حتى أصبح هذا التنوع العرقي بمثابة صخرة ترتطم عليها كل دعوة للوحدة والإصلاح، التي جهر بها الباجي بين ملوك الطوائف.

03 ـ 03 ـ ضعف الوازع الديني وانهدام الصرح الأخلاقي:

أُعجب أهل الأندلس بأخلاق الفاتحين بداية، وتعلقوا بهذه الشريعة السمحة، فالتزموا أحكامها وحدودها، حتى قال أحدهم في وصف جيش الفاتحين، وذكر ذلك المقري قائلا :« لقد نزل قوم لا ندري أهبطوا من السماء أم انبعثوا من الأرض ..»[4]، ولما بُسِطت الدنيا على أهل الأندلس وتنافسوها واستهزئ بالدين، وساءت الأخلاق، وتغيرت المعاملات، وارتكبت المحرمات والموبقات، والشهوات في المجالس، و دور الناس وشوارعهم[5]،تحول الوضع الاجتماعي في الاندلس، من التدين الى أقصى مراحل التفسخ والانحلال، فصار المجتمع عقيما لقبول أي دعوة اصلاح، وكان ذلك إيذانًا بزوال وسقوط الديار وذهاب ملكها.

03 ـ 04 ـ تدخلات العدو النصراني في إطالة زمن الحرب:

أدى صراع الزعامة وبسط النفوذ زمن الطوائف،إلى قيام حرب طاحنة، لم تعرف قرارًا ولا ركونًا، كما أدى تحالفهم واستنجادهم بالعدو، الذي كان مسيطرًا على الجزء الشمالي للأندلس، إلى تسارع ملوك الطوائف إلى تقديم أثمن الهدايا وأنفس الأموال لملوك النصارى والدخول تحت حمايتهم ولوائهم، فقد أبرم المنذر ابن يحيى التيجيبي معاهدة حسن

(1) ـ المراكشي،المصدرالسابق،ص88 .
(2) ـ صلاح خالص، اشبيلية في القرن الخامس هجري، دار الثقافة ، بيروت ،1965م،ص39 .
(3) ـ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 58 .
(4) ـ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 61 .
(5) ـ المقري، المصدر السابق ، ص 240 .

الجوار، بين مملكة سرقسطة وبعض الممالك النصرانية المجاورة لها واستعانته بعد ذلك بأمير برشلونة للقضاء على خصومه، وكذلك سعى سليمان بن هود في شراء عون النصارى[1].

لم يفوت ملوك النصارى فرصة سرعة الاستجابة ليكونوا عونًا ومدداً عسكريا لتأجيج لهيب الصراع وإطالة زمنه، فعظمت الرزية في الأندلس، وأفسدت الحرب المشتعلة الحرث والنسل وضعفت معها شوكة المسلمين، بعد أن ضرب العدو المتربص بعضَهم بعضًا، وهكذا أصبح العدو الصليبي، يفرض إرادته و سلطانه الذي صار يقوى يوما بعد يوم.

ولم يجد المستضعفون من أمراء المسلمين إلا المسارعة في دفع المال مقابل بقائهم ، على رأس الإمارة وحصولهم على الحماية النصرانية، وبعد أن مل الإسبان من أخذ الجزية واطمأنوا لسوء حال المسلمين، أخذوا ينتزعون الأراضي الأندلسية منهم، وفي رد الأندلس إلىالنصرانية، وهو ما تم بعد ذلك بالفعل في حروب الاسترداد[2].

كان للتوغل النصراني بالأندلس أثر في مسار دعوة الباجي، في التحريض على مواجهة هذا العدو، فكثّف من زياراته للملوك حاثًا إياهم على تكوين جبهة عسكرية واحدة للتصدي للهجمات الصليبية المتتالية، دخل الباجي

سرقسطة وبقي بها ثلاثة سنوات، تولى فيها الدعوة الى الجهاد، حتى استعيدت ((بريشتر)) بعد سقوطها سنت 456 هـ[3]، أسرع الباجي مع مجموعة من علماء بلده إلى الإفتاء، بجواز الاستعانة بالمرابطين في عدوة المغرب فأجابهم يوسف بن تاشفين إلى ذلك وعبر مع المرابطين إلى الأندلس ، و بذلك أنتصر جيش ملوك الطوائف والمرابطين على النصارى ، في موقعة الزلاقة، سنة479 هـ بعد خمسة سنوات على وفاة الباجي[4].

ثانيا: الإصلاح العلمي والتربوي عند الباجي:

لم تقتصر جهود الإمام أبي الوليد الباجي على مساعيه الإصلاحية للأمور السياسية و القضائية فقط، بل تعداها لتمس مختلف المجالات العلمية، حيث اعتبر عهد الطوائف أحد أزهى عصور الحضارة الإسلامية علميًا وتربويًا، وقد كان لإسهامات أبي الوليد الباجي الأثر الكبير في تلك الخدمات الجليلة .

(1) ـ أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1988م، ص ص 94 ـ 100 .

(2) ـ بوسيف سنوسي و يوسي الهواري، المرجع السابق، ص 660 .

(3) ـ بوسيف سنوسي و يوسي الهواري، المرجع نفسه، ص 661 .

(4) ــ أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د ط، 1418هـ/ 1997م،ج2، ص ص34 ـ35 .

01 ـ ميادين الاصلاح العلمي و التربوي .

01 ـ01 ـ إصلاح المنظومة التعليمية داخل المذهب:

أدرك الإمام أبو الوليد الباجي بعد عودته من المشرق أن ازدهار العلوم و تطويرها، لن تؤتي ثمارها إلا بإصلاح المنظومة التعليمية، فهمّ بتوظيف علمه لهذا الغرض، من خلال رفض الطرق العلمية القديمة، التي كان يسلكها المالكية، و التي أحدثت نوعًا من الجمود داخل المذهب، أثرت سَلبًا في مجابهة مد المذهب الظاهري، على يد ابن حزم، إذ كان له صيت عال، و لكلامه تأثير فائق، و له في كل فن، تصرف تقصر عنه ألسنة الفقهاء، و ذلك لقلة استعمال النظر و التحقيق، فلم يكن أحد يقوم بمناظرته، فلما قدم الإمام الباجي محملا بزاد التحقيق و الاتقان و المعرفة بطرق الجدل و المناظرة، رُدَّ كُلٌّ لأصله، و غلبةً على خصمه[1].

و قد بينت رسالته التي أعدها و وجهها إلى ولديه و بين منهجه في الإصلاح التعليمي التربوي، رغم أن عنوانها محصور في النصيحة لولديه، إلا أنها عنوان كبير في الإصلاح داخل المدرسة المالكية، إصلاح يثور على المنهج القديم، الذي يرتبط بتلقين الصبي من خلال تعليمه و الحفظ و ترديد المتون، و عدم الخروج من منهجية التلقين، و قد مزج في ذلك بين الحفظ و التلقين، حتى يمتلك الطالب ملكة الاجتهاد، قال الإمام الباجي ـ رحمه الله ـ مبينًا ذلك : " فاجتهدا في طلبه، و استعذبا التعب في حفظه و السهر في درسه، و النصب الطويل في جمعه، و واظبا على تقييده و روايته، ثمّ انتقلا إلى فهمه و درايته"[2].

01 ـ 02: محاربته التقليد و الجمود:

وضع الباجي مناهج للعلماء و طلاب العلم من خلال تأليفه لمجموعة من المصنفات الخاصّة بعلم الجدل، المرتبطة بالفقه و أصوله، و المناظرة و أغراضها، و الكلام و أسراره، و كيفية الاحتجاج و الاستدلال الشرعي لغرض إدراك حقائق العلوم، و تثبيت صوابه، و قد وجه في أحد أبواب كتابه الإشارة بعنوان : " باب الكلام في وجوب النظر"[3]،و وجوب النظر و الاستدلال هو مذهب مالك ـ رحمه الله ـ لأنه يستدل في المسائل بأدلة متعددة .

(1) ـ محمد بن حسن شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الاسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، طبعة وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، 1421هـ ـ 2000م، ص 272.

(2) ـ الباجي، النصيحة الولدية، المصدر السابق، ص 23 .

(3) ـ الباجي، الاشارة، المصدر السابق، ص14 .

و قال الإمام الباجي، في وجوب الاستدلال، في آي القرآن كثير، و في هذا وجب النظر في صحته، والرجوع إلى الاستدلالات، ففيه فساد من لا يعلم حقيقة قوله، وجب الرجوع إلى الأصول، و ما أُودع فيه من المعاني التي تدل على الفروع و هي الكتاب و السنة و الإجماع، فلم يردهم عند التنازع إلى غير ذلك فيدل على إبطال التقليد من غير حجة.[1]

02 ـ مراحل التعليم عند الباجي:

عكف أبو الوليد الباجي في إصلاحه العلمي والتربوي على عدة مراحل:

02 ـ 01 ـ تعليم الصغار:

كان يستقبل الأطفال الصغار من بداية الإدراك الى سن الرشد، حيث كان يقوم في هذه المرحلة على تحفيظهم القرآن الكريم، ثم يضيف إليهم مبادئ اللغة العربية ورواية الشعر، وتعليمهم الخط الذي خصوه باهتمام كبير[2] .

02 ـ 02 ـ تعليم الكبار:

كان يستقبل من هم فوق سن الرشد، وقد سار على نفس منهج المرحلة السابقة، ولكن بشكل أكثر عمقا وتدقيقا كما ركّز بعضهم الآخر على علم معين، أكثر من بقية العلوم[3].و في هذه المرحلة ينفتح الطالب على جميع العلوم، " تسمح له برحلات إلى بعض البلدان، و هناك يلتقي بالعلماء و المشايخ، و الفقهاء يأخذون العلم عنهم، و بذلك يختصون ببعض العلوم، كالفقه و الحديث و القراءات، و قد أسهبت كتب التراجم في ذكر هؤلاء،[4]

02 ـ 03 ـ . تعليم المرأة :

نال عديد النساء حظا وافرا من التعليم ونبغن في العلوم والفنون والآداب وساجلن الرجال في مجالس الشعر والأدب[5]، فاشتهرت الكثير من المعلمات مثل: ولاّدة بنت المستكفي وكذا إشراق السويدية العروضية، كما انتشر تعليم

(1) ـ الباجي، المصدر نفسه، ص ص 15 ـ 16 .

(2) ـ نسيم حسبلاوي، الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية، رسالة ماجستير، في التاريخ، جامعة الجزائر، 2000 ـ 2001م، ص15

(3) ـ نسيم حسبلاوي، المرجع نفسه، ص 16 .

(4) ـ فطيمة عابد، الحياة الفكرية في سرقسطة البيضاء خلال عهد ملوك الطوائف، 431ـ 512هـ/1039 ـ 1118م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008 ـ 2009م، ص 28 .

(5) ـ عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الاندلسي في القرن الخامس الهجري (سياسيا واجتماعيا وثقافيا)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009م،ص ص 113 ـ 114 .

الجواري فهذا محمد بن الكتاني المتطبب، الذي قال: في ملكي الآن أربعة روميات هن الآن عالمات، نحويات، عروضيات، أدبيات، خطاطات، وهن يتعاطين إعراب كل ما ينسخنه، ويضبطنه فهما و معاينة، ولكثرة تكرارهن فيه[1]،وأشار المستشرق خوليان ريبرا في كتابه" التربية الإسلامية في الأندلس "إلى أن تعليم المرأة اقترن اقترانا وثيقا مع تعليم الصبيان والطلبة، في كل فروع العلوم، ضبطا وممارسةً وتقلدًا للمناصب[2]، ذكر ابن فياض في تاريخه " أخبار قرطبة": كان بالربض الشرقي من قرطبة مائةٌ وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي هذا ما في ناحيته من نواحيها، فكيف بجميع جهاتها[3]، لقد كان للباجي دور كبير في تنوير الحياة الثقافية والعلمية والتربوية في الأندلس، من خلال مناظراته العلمية وتآليفه الأصولية والفقهية وانتشار علمه وذيوع صيته وسمته و وقاره.

ثالثا ـ الإصلاح القضائي عند الإمام الباجي:

يُعد القضاء من أهم المؤسسات الإدارية للدولة، يتولى ممارسته، الفقهاء والقضاة، حيث تتجلى مهامهم في الفصل في القضايا و المنازعات بين النّاس، لتحقيق العدالة، و كذا الاشراف على تسيير الأحباس، ذكر ابن بشكوال في كتب التراجم، "أن القضاء هو النظر في أحكام المظالم[4].

و قد أشار صاحب نفح الطيب إلمكانة القضاء، قائلاً: " و أمّا خطة القضاء بالأندلس، فهي أعظم الخِطط، عند الخاصّة و العامّة، لتعلقها بأمور الدين، و كون السلطان، لو تُوجه عليه الحكم لحضر بين يدي القاضي، هذا وَضْعُها في زمان بني أمية و من سلك مسلكهم[5].

01 ـ تولي أبي الوليد الباجي منصب القضاء:

نظرًا لسعة معارف أبي الوليد وإحاطته الفقهية وصلاحه، أَهَّلَه ذلك لأن يكون قاضيا للجماعة، أو ما يعرف عند المشارقة " بقاضي القضاة"، فقد ذكرت العديد من الكتب عن توليه لهذا المنصب الذي لم يكن يروقه، بل كان يراه دون قدره و علمه، إلاّ أن جُلّ المصادر أهملت ذكر المدن التي تولى بها القضاء كأن تورد" و وُلِيَ القضاء بمواضع من الاندلس"، و قد أشار النباهي إلى تَوَلِي أبي الوليد القضاء في عهد عمر بن محمد المتوكل، " ولي القضاء بمواضع من

(1) ـ خوليان ريبرا، التربية الإسلامية في الاندلس، تح: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة،ط2، 1994م ، ص ص130- 131 .
(2) ـ خوليان ريبرا، المرجع نفسه، ص 130 .
(3) ـخوليان ريبرا، المرجع نفسه، ص 130 .
(4) ـ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 459.
(5) ـ المقري، المصدر السابق، ج1، ص217 .

الأندلس، فكان يبعث إليها خلفاءه و ربما قصدها بنفسه "[1]، وقد تطرق القاضي عياض إلى ذكر بعض الأماكن التي تصغر عن قدره، كأريولة، ولم تكن مهمته هناك منحصرة على القضاء فقط، إنما كان يقوم بتدريس العلم لطلابه[2]،و ذكر المقري أن أبا الوليد الباجي تولى القضاء في حلب نحو عام قبل عودته إلى الأندلس[3] .

ومما لاشك فيه أن الباجي قام بواجب القضاء خير قيام، حتى أصبح يلقب بالقاضي، وعن مواقفه في القضاء والفتوى، ما يثبت لنا، أنه يتمتع بعقلية نيِّرة تنفذ إلىأسرار الأحكام وسماحتها، مع الحفاظ على مصالح جمهور الناس فمثلا: في مسألة تسعير السلع، ومنع التاجر الذي يقصد إلى أن يبيع في السوق بسعر يختلف عن سعر باقي التجار، بزيادة أو نقصان، فيقول الباجي في ذلك((إذا انفرد منهم الواحد، والعدد اليسير بحط السعر، أمروا باللحاق بسعر الجمهور، لأن المراعى الجمهور، وبه تقوم المبيعات))[4].

ونرى أن فتوى الباجي تقوم على الحق والعدل وحدهما، دون مراعاة مصلحة القريب أو الصديق، لكي لا تضيع حقوق الناس.

02 ـ إصلاح السلطة القضائية و ضبط الفتوى .

من بين الإصلاحات التي عنى بها الإمام أبو الوليد الباجي، إصلاحه السلطة القضائية و ضبط الفتوى، فقد ألف في هذا الشأن كتابًا سماه " **فصول الأحكام و بيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء و الحكام**"، و هو رسالة قيّمة موجهة للحكام و الفقهاء والقضاة، بَيَّن فيها مناهج الفتوى و إصدار الأحكام، عقب ابتلائهم بالنظر في أمور الفتاوى وأحكامها، وقد استفاد من خبرته في منصب القضاء في تأليف هذا الكتاب، كما أوضح في مقدمته عن سبب تأليفه فقال :" فإني لما رأيت ما ابتلي به الفقهاء و الحكام، من النظر و الفتوى بين الأنام، في الأحكام، بادرت بكتابي هذا و خرّجت غرر المحاضرة، و رؤوس مسائل المناظرة، ومما لا يستغني الفقيه و لا الحاكم عن مطالعتها، و الوقوف على أصولها، فقصدت في ذلك الى الطريق المعتاد من الإيجاز و الاختصار، و تركت التطويل و الإكثار، و الكمال يمتحن بالنقصان، و لا بد لكل مخلوق من زلة... و ليس على كل مجتهد أكثر من بذل وسعه[5].

(1) ـ النباهي، المصدر السابق، ص 95.

(2) ـ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص 350 . الحميري، المصدر السابق، ص67 .

(3) ـ المقري، المصدر السابق، ج1،ص360 .

(4) ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص20.

(5) ـ الباجي، فصول الاحكام، المصدر السابق، ص 100 .

الخاتمة

خاتمة

بعد المامنا عدد غير يسير من الكتب وتِطْوَافِنا بين ردهاتها مستخرجين مادتها، مستنيرين بمنتخبات فكر الأولين والمتأخرين من مصادر ومراجع قيمة، في موضوع أبي الوليد الباجي، حياته وآثاره، والذي من خلاله خلصنا إلى عدة استنتاجات وحقائق حول هذه الشخصية العلمية المصلحة الفذة:

1 ـ شيّد ملوك الطوائف نهضتهم العلمية والحضارية من خلال التركة الهائلة التي ورثوها بعد انهيار الدولة الأموية وظهور ممالك مستقلة بذاتها عرفت باسم الدويلات أو الإمارات .

2 ـ انعدام الوحدة السياسية في الأندلس بعد سقوط الأمويين، وتشتت سلطانهم بين ملوك الطوائف وتناحرهم فيما بينهم، كانت هي السمة البارزة لهذه الفترة من تاريخ المسلمين في هذه الديار.

3 أثر التنشئة الدينية والعلمية على شخصية أبي الوليد الباجي كقاعدة أولية، ومن ثم سياحته في طلب العلم مشرقا لتعلوا به الرتب و في الأندلس مغربا، لتتحقق به الإرب، وتبوؤه مهمة الإصلاح على مختلف الأصعدة سياسيا، وتربويا، قضائيا، حكاما ومحكومين.

4ـ انتشار ظاهرة ركوب الدين بين أمراء الطوائف في استقطاب العلماء قصد كسب التأييد السياسي لسلطانهم، كان القاسم المشترك بينهم جميعا، وتوظيف العلماء للتأثير على العوام من أجل اختيارات سياسية، فثِقَل شخصية أبي الوليد الباجي وأثرها مشرقا ومغربا، كانا عاملان قويان في ذلك الاستقطاب، حيث جعل ملوك الطوائف يتهافتون على التقرب إليه وحيازة الود منه.

5 ـ التنوع التركيبي في المجتمع الأندلسي أدى دورا كبيرا في تعدد القوميات، بداية من خلال نهضة التنوع سياسيا وثقافيا واجتماعيا، وفي الجانب الآخر له دور بارز في تأجيج الصراع السياسي الداخلي لملوك الطوائف والوقوف دون دعوة الباجي الإصلاحية.

6 ــ عَمَلُ الباجي دليل على النبض الحساس للأمة الإسلامية في سياسة الدين والدنيا (العلماء سراج الزمان).

7 ــ عوامل الانقسام في الأندلس والركون إلى الدنيا حالت دون جهود الباجي في الاصلاح على مختلف الأصعدة لكن نحسبه أنه قد أعذر أمام الله تعالى، فهو عالم عامل مبلغ، مجازى على نيته وعمله .

8 ــ من منطلق كما تكونوا يُوَلى عليكم في سنن سياسة الدنيا، فالانحراف الذي شهدته الأندلس حكاما ومحكومين آذن بقرب زوال سلطان المسلمين في تلك الربوع و مرد ذلك الى البعد عن التمسك بتعاليم الإسلام السمحة .

9 ـ التدخل النصراني المتزايد ومساهمتهم في تأجيج الصراع الداخلي وتقديم يد العون للأمراء أفضى إلى إطالة زمن الحرب الداخلية بينهم.

10 ــ أثر الإنتاج العلمي والفكري الغزير للباجي في الدفاع عن عقيدة المسلمين في وجه دعوات التنصير وردا على بطلان عقائدهم وظلالها بالحجة والبينة الدامغة، كان حصنا حصينا في توثيق روابط المسلمين بدينهم و ثوابتهم .

11 ـ أدى الإمام الباجي واجب النصح لأئمة المسلمين، من خلال إصلاحاته، ووضع ملوك الطوائف أمام الأمر الواقع وإشعارهم بمسؤوليتهم الدينية والقومية، وضرورة نبذ خلافاتهم وتوحيد كلمتهم بمجابهة الخطر النصراني المتكالب عليهم ، كما أدى واجب النصح لعامة المسلمين، تعليما وتربية وإصلاحا من خلال الدروس التي ألقاها في عدة محافل .

الملاحق

الملحق رقم : 01

نقلا عن : عنان محمد عبد الله ـ دول الطوائف، المرجع السابق، ص27

ملحق رقم : 02

نقلا عن : عنان محمد عبد الله ـ دول الطوائف، المرجع السابق، ص 29

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا- المصادر :

01 ـ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي(ت 658هـ/1238م): الحلة السيراء ، تح: حسين مؤنس ،ط2، دار المعارف، القاهرة، 1965م .

02 ـ ـــــــــــــــــــ ، التكملة لكتاب الصلة، تح : عبد السلام الهراس، دار الفكر، د ط ، 1415 هـ/1995 م .

03ـ ابن الأثير الجزري (ت630هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، ط1، 1955م

04ـ الادريسي ابو عبد الله محمد الشريف(ت559هـ) ، المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ليدن ، دن ، د ط ، 1866م .

04 ـ الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف (ت 474هـ)، الإشارة في معرفة الأصول و الوجازة في معني الدليل، تح: محمد علي فركوس، مكتبة المكية، دار البشائر الاسلامية ، د.ت.ط .

05 ـ ـــــــــــــــــــ ، فصول الأحكام و بيان ما نص عليه العمل عند الفقهاء و الحكام، تح: محمد أبو الأجفان، دار ابن حزم بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/ 2002م .

06 ـ ـــــــــــــــــــ ، التعديل و التخريج لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح، تح : حسين أبو لبابة، دار اللواء للنشر و التوزيع،ط1، الرياض، 1986م .

07 ـ ـــــــــــــــــــ ، النصيحة الولدية، وصية أبي الوليد الباجي لولديه، تح: ابراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم للنشر و التوزيع،ط3، بيروت، 2000م .

08ـ ـــــــــــــــــــ ، المنتقى شرح موطأ مالك، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 1999م.

09ـ ـــــــــــــــــــ ، حكام الفصول في أحكام الأصول، تح: عبد الله محمد الجبوري، دار الرسالة،ط1، بيروت، 1989م.

10ـ ـــــــــــــــــــــ ، رسالة راهب فرنسا الى المسلمين و جواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1986م.

11 ـ البخاري، كتاب الصلح، رقم الحديث، 2699، دار ابن كثير، دمشق، بيروت،ط1، 1423ه/2002م.

12ـ ابن بسام، أبي الحسن علي الشنتريني (ت 542ه): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ق1، م1 ،1997م.

13ـ البكري، أبو عبيد الله، المسالك و الممالك، تح : أدريان فان ليوفن، اندري فيري، دار الغرب الاسلامي، 1992م.

14 ـ ابن بلقين عبد الله(ت483ه)، التبيان، تح : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر، 1955م.

15- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم(ت728ه)، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت .

16- الحميدي، أبو عبيد الله بن فتوح، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، ط1، تونس، 2008م .

17- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت 727ه)، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان،ط2، بيروت، 1984م .

18- ـــــــــــــــــــــ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، دار الجيل،ط2، بيروت، 1988م .

19- الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الرومي(ت626ه)، معجم البلدان، دار صادر ، بيروت ، د.ت ط .

20- ـــــــــــــــــــــ ، معجم الأدباء، ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي،ط1، بيروت، 1993م .

21 – ابن الخطيب لسان الدين السلماني(766هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح : محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي،ط2، القاهرة،1973م .

22 – ـــــــــــــــــــــ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، تح : ليفي بروفنسال، دار المكشوف،ط2، بيروت، 1956 م.

23 ـ ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله الاشبيلي (ت 529هـ/ 1134 م)، قلائد العقيان و محاسن الأعيان، تح : حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار،ط1، الأردن، 1989م

24ـ الخطيب البغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي(ت 463هـ): تأريخ بغداد مدينة السلام و أخبار محدثيها و ذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريها، تح : بشار عوّاد معروف، دار الغرب الاسلامي،ط1، بيروت، م.

25ـ ابن خلدون زيد ولي الدين عبد الرحمن(ت 808 هـ)، مقدمة ابن خلدون ، المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح : خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت، 2001 م

26–ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن أبي بكر(ت681هـ) : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس، دار صادر ، بيروت.

27 ــ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت848هـ)، سير أعلام النبلاء، تح : شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط2 بيروت، د. ت.ط .

28– ـــــــــــــــــــــ، طبقات القراء، تح: أحمد خان، ط1، 1418هـ/ 1997م .

29– الرشاطي ابو محمد (ت542هـ) و ابن الخراط الاشبيلي (ت 581هـ)، الأندلس في اقتباس الأنوار ، و في اختصار اقتباس الأنوار، تح : ايميليو مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1990م .

30- السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، د ط، د ت .

31- ابن سعيد الاندلسي ، رايات المبرزين و غايات المميزين، تح : محمد رضوان الداية ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق ، ط1 ،1987 م .

32- السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (562هـ)، الأنساب، تقديم و تعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1988م .

33 ـ السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، طبقات الحفاظ راجع نسخته ،لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ/1983م .

34- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ) ، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ ـ 2000م .

35- الضبي، أحمد بن حيان بن أحمد بن عميرة (599هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح : ابراهيم الأبياري، دار اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة ، ط1، 1989م .

36 ـ ابن عذارى المراكشي ، أبو عبد الله محمد (ت 706 هـ /1306 م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح : ج س كولان، ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1983م .

37- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، يبنان، د ط، 1415هـ/ 1995م .

38- ابن عماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي(ت ـ 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير،ط1 دمشق، 1989م .

39- أبـو الفـدا، عمـاد الـدين اسـماعيل بـن محمـد(ت732هـ): تقـويم البلـدان، دار صـادر، بيروت،د.ت.ط

40- ابن فرحون المالكي، ابراهيم بن نور الدين(ت 799هـ)، الديباج المذّهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 1996م .

41 ـ القرطبي، ابو بكر(ت671هـ، الجامع لأحكام القرآن، تح :عبد الله بن المحسن التركي،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م .

42- القرطبـي، أبـو عمـر يوسـف بـن عبـد البـرّ النمـري (463هـ)، القصـد و الأمـم فـي تعريـف بأصول العرب و العجم، طبعة القاهرة، 1350هـ .

43 ــ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد،، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية ، القاهرة، د. ت.ط.

44ـ ابن كثير، أبي الفدا اسماعيل عماد الدين بن عمر(ت 774هـ)، البداية و النهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الهجر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلان، ط1، السعودية 1419هـ /1998م .

45- ابن الكردبوس، عبد الملك بن قاسم بن الكرد بوس التوزري(كان حيا سنة 575هـ)، تاريخ الأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، مدريد، (معهد الدراسات الاسلامية، 1971) .

46 ــ ابـن مـاكولا، أبـو القاسـم هبـة الله بـن علـي(ت475هـ)، الإكمـال فـي رفـع الارتيـاب عـن المؤتلف والمختلف الأسماء والكنى و الأنساب، تع : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتاب الإسلامي،ط2 القاهرة، 1993،

47-المراكشي عبد الواحد (أبو علي بن محمد التميمي)(ت 647هـ) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح : العريان محمد سعيد، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1368هـ /1949م .

48 ـ المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الرطيب، تح : احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م .

49- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي(ت711هـ)، لسان

50 ــ النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله(ت نحو792هـ)، تاريخ قضاة الأندلس، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة،ط5، بيروت، 1983م.

51 ـ اليافعي، أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (ت768هـ)، مرآة الجنان و عبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية،ط3، بيروت، 1997م .

52- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار الملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، 2002م .

53- الحسني، أحمد بن محمد بن عجيبة ، أزهار البستان في طبقات الأعيان، تح : عبد السلام العمراني الخالدي ، دار الكتب العلمية،ط1 بيروت، 2020م .

54-مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، د ط .

55- الناصري أحمد بن خالد، الإستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997م

56- الوراكلي، حسن، ياقوتة الأندلس، دراسات في التراث الاندلسي، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1994م

ثانيا : المراجع:

1 ـ احسان ،عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ،دار الثقافة ، بيروت1969، لبنان ،ط2

2 ـ ـــــــــــــــ ، تاريخ الأدب الأندلسي_ عصر الطوائف والمرابطين دار الشروق ، للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ، ط2 ، 1997.

3 – أحمد، فكري: قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة ،مؤسسة شهاب الجامعية الإسكندرية، دط ،1983 .

4 ـ أحمد مختار، العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط،

ـ ـــــــــــــــ، تاريخ المغرب والأندلس دار النهضة العربية للطباعة و النشر، د ت

5 ـ أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،، بيروت،ط –2 6.1988 ـ محمد بن عبود: التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد الطوائف ،المعهد الجامعي للبحث العلمي ،تيطوان ، دط،1983

7 ـ أمحمد ،جبرون، الفكر السياسي في المغرب والأندلس في القرن الخامس الهجري، في تشكيل الهوية السياسية في المغرب وتكريس الفتنة في الأندلس، تقديم:دار أحمد بن عيدون ،دار ابي رقا رق ،الرباط ، ط1 ، 2008.،

8 ـ أمين أحمد، ظهر الإسلام ،ج3 ،مراجعة شريف البسيط ، المكتبة المصرية ،صيدا ،بيروت،ط1 ، 2006 م .

9 ـ بالنثيا ،آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي ،تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ، دم ، د ط ، د ت.

10 ـ جمعة ، شيحة، الفتن والحروب و اثارها في الشعر الأندلسي، تقديم: محمد طالبي ، ج2 المطبعة المغاربية للنشر ، تونس،ط1 ، 1994.،

11 ـ حسين، مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ،دن،دط ،1992 .

12 ـ حمد بن صالح ،السحيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم–عصر الملوك الطوائف في الأندلس أنموذجا ، دن،الرياض،ط1 ، 2002 .

13 ـ دوزي رينهرت، المسلمون في الأندلس ، تر جمة:حسن حبشي ،ج3 ،الهيئة المصرية للكتاب ،دط،1995 م.

14 ـ دوشاتو، بريان ،الفيكونت، خلاصة تاريخ الأندلس الى سقوط غرناطة ،تر: شكيب ارسلان ،مطبعة المنار للنشر ،مصر ،دط ، 1925 م .

15 ـ عباس نصر الله ،سعدون، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،ط 1 ،1985 م .

16 ـ عبد الرحمن علي ،الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ،د ا ر القلم ، دمشق ، ط5 ، 1997 .

17 ـ عبد العزيز، سالم السيد، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة الأسطول الأندلسي، مؤسسة شهاب، الجامعة للطباعة، الإسكندرية ، دط ،1984

- ـــــــــــــــ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1969 م .

18 ـ محمد عبد الله ،عنان، دولة الإسلام في نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين مكتبة النحانجي 1997.، ،القاهرة ،ط4

ـ ـــــــــــــــ ، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ،دراسة تاريخية وأثرية ،مكتبة النحانجي ،القاهرة ،ط2 ، 1997.

ـ ـــــــــــــــ ، الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول:القسم الثاني مكتبة النحانجي ،القاهرة، ط4 ، 1997.،

ـ ـــــــــــــــ، دولة الإسلام في الأندلس_ العصر الثاني، دول الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطي ،مكتبة النحانجي ،القاهرة ،ط4 ، 1997 .

19 ـ يوسف ، اشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،ترجمة :محمد ،عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والنشر ،القاهرة ،ط 1 ، 1958.

21 ـ السمرائي(خليل إبراهيم) ، ذنون طه (عبد الواحد) ، مطلوب (ناطق صالح)، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، دار الكتاب الجديد ، ط1 ، بيروت، 2000 م.

ثالثا:. الأطروحات الجامعية:

57- بولعراس، خميسي، الحياة الاجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006 م ـ 2007 م .

58- البشري سعد عبد الله، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1986م .

59- الجبوري خالد عبد المطلب محمد، أبو الوليد الباجي و دوره في الحياة العلمية، و السياسية في الاندلس(403هـ ـ 474هـ / 1012م ـ 1081م)، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي ، كلية التربية- قسم التاريخ ـ جامعة تكريت، بغداد، 2010م

60- فطيمة عابد، الحياة الفكرية في سرقسطة البيضاء خلال عهد ملوك الطوائف، 431-512هـ/1039 ـ 1118م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008 ـ 2009م.

61- حاج عبد القادر، يخلف، الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي، رسالة ماجستير ـ قسم التاريخ ـ جامعة وهران، 2008م ـ 2009م .7

62-حسبلاوي نسيم، الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية، رسالة ماجستير، في التاريخ، جامعة الجزائر، 2000 ـ 2001م

63- بن عبيد فؤاد : الاجتهاد المقاصدي عند الإمام أبو الوليد الباجي و تطبيقاته الفقهية من خلال كتابه المنتقى رسالة دكتوراه في الفقه و الأصول، إشراف صالح بوبشيش، قسم الشريعة، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الاسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة،1430 ـ 1430هـ / 2008 -2009م

المجلات و الدوريات:

64- بلاعدة العمري : الإمام أبو الوليد الباجي (ت474هـ) و جهوده في خدمة المذهب المالكي، مجلة دراسات و أبحاث ، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2017م، ع 28 .

65-بوباية هاجر، فاطمة بلهواري : الحركة العلمية في الأندلس على عهد ملوك الطوائف (422 ـ 483هـ / 1031 ـ 1090 م)، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، مج 016 ، ع 23، اغسطس 2016م .

66- ابو صالح وائل أبو الوليد الباجي حياته و مناظراته العلمية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج15، 2002م

67-الظهوري عادل علي و نور الدين الصغير، المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية و الاجتماعية ، مج 19،ع 1 ، مارس 2022م .

68- عبد الله خالد محمود و أحمد صالح محمد : دور العلماء في الحياة الاجتماعية في عهد الموحدين ، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية ، مج 3 ، ع 10 .

69- القيسي فايز عبد الغني فلاح ، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1408هـ / 1989م.

فهرس المحتويات

شكر و عرفان.....

الإهداء:.....

قائمة الرموز و الاختصارات:.....

مقدمة:.....أ

الفصل التمهيدي: عصر الإمام أبو الوليد الباجي و حياته:

أولا : الأوضاع العامّة في الأندلس في عصر الإمام الباجي:

01 : الأوضاع السياسية :.....3

02 : الأوضاع الاجتماعية :.....10

03 : الأوضاع العلمية و الفكرية :.....14

ثانياً : ترجمة لحياة الإمام أبو الوليد الباجي :.....20

01 ـ اسمه و نسبه :.....20

02 ـ مولده :.....21

03 ـ أسرته و نشأته :.....23

04 ـ وفاته :.....26

الفصل الأول: النشاط العلمي للإمام أبو الوليد الباجي

المبحث الأول : حياة الإمام الباجي العلمية 29

أولاً : طلبه للعلم ورحلاته:.....29

01 ـ 01 : المرحلة التعليمية بالأندلس : 403هـ ـ 426هـ:.....29

02 ـ 01 : المرحلة التعليمية المشرقية : 426هـ ـ 438 هـ:.....30

03 ـ 01 : مرحلة العودة إلى الأندلس و العطاء : 439هـ ـ 474هـ:.....32

ثانيًا: شيوخه:.....33

01 ـ 01: شيوخه بالأندلس:.....33

02 ـ 01: شيوخه بالمشرق:.....34

أولا: بمصر:.....34

ثانيا: بالحجاز:.....34
ثالثا: ببغداد:.....35
رابعا: بالموصل : 36
خامسا: بالشام:.....36
ثالثا: أقرانه: 36
رابعا: تلاميذه :.....38
خامسا : مكانته العلمية و أقوال العلماء فيه :.....40
أولا: مكانته العلمية:.....40
ثانيا: ثناء العلماء عليه:.....41
المبحث الثاني: آثار الإمام الباجي العلمية :.....43
أولا : مناظرات الإمام أبي الباجي العلمية و آراؤه الجدلية :.....43.
01 ـ مناظرات أبي الوليد الباجي ضد المذاهب الخارجية بالمشرق:.....44
02ـ مناظرة أبي الوليد الباجي لابن حزم الظاهري: 44
03 ـ مناظرة أبي الوليد الباجي لبعض علماء عصره:.....46
4 ـ مناظرة الباجي مع راهب فرنسا:.....47
ثانيا : محنة الإمام أبي الوليد الباجي :.....48.
ثالثا: مؤلفات الإمام أبي الوليد الباجي و آثاره العلمية:.....49
أ/ المؤلفات المطبوعة:.....49
ب / المخطوطات و ما في حكم المفقود: 51
الفصل الثاني: الإصلاح عند أبي الوليد الباجي
أولا: الإصلاح السياسي عند أبي الوليد الباجي:.....56
1ـ دوافع أبي الوليد الإصلاحية و دعوته لتوحيد الأندلس :.....56
2 ـ مستويات الإصلاح السياسي عند الباجي :.....58
2 ـ 1 إصلاح الراعي (المستوى القيادي) :.....58

فهرس المحتويات

2 ـ 2 إصلاح الرعية(المستوى القاعدي الشعبي):.....59

3 ـ أسباب فشل الإصلاح السياسي:.....60

01 ـ 03ـ رفض السلطة الحاكمة لدعوة الباجي:.....60

02 ـ 03 ـ الانقسام الطبقي داخل المجتمع الأندلسي: 61

03 ـ 03 ـ ضعف الوازع الديني وانهدام الصرح الأخلاقي:.....61

04 ـ 03ـ تدخلات العدو النصراني في إطالة زمن الحرب:.....62

ثانيا: الإصلاح العلمي التربوي عند الباجي:.....63

1ـميادين الاصلاح العلمي و التربوي :.....63

01 ـ01 :إصلاح المنظومة التعليمية داخل المذهب: 63

01 ـ 02: محاربته التقليد و الجمود:.....64

2ـمراحل الإصلاح التربوي والعلمي :.....64

02 ـ 01 ـ تعليم الصغار:.....64

02 ـ 01 ـ تعليم الكبار:.....64

03 ـ 01 ـ . تعليم المرأة :.....65

ثالثا: الإصلاح القضائي عند الباجي :.....65

01 ـ تولي أبو الوليد الباجي منصب القضاء :.....66

02 ـ إصلاح الباجي للسلطة القضائية و ضبط الفتوى :.....67

الخاتمة:.....69

الملاحق:.....75

قائمة المصادر و المراجع:.....

فهرس الأعلام:.....

فهرس الأماكن :.....

فهرس القبائل و الشعوب: .....

فهرس المحتويات:.....

فهرس الأعلام

(أ)

ابن الأبار: 57، 58.

ابن الأثير: 26.

ألفونسو السادس: 9، 26، 75.

أحمد بن سليمان الباجي الأندلسي: 38.

أحمد بن رشيق الكاتب: 45.

آنجل جنثالث:22.

أدبن طابخة: 20.

أبو اسحاق الشيرازي: 31، 46.

أحمد بن أبي الوليد سليمان الباجي: 24.

ابن الأحمر: 34.

ابراهيم بن علي بن يوسف بن جمال الدين الشيرازي:35

الإمام مالك: 51.

أبو اسحاق اسماعيل الجهضي: 51.

(ب)

أبو الوليد الباجي: 18، 21، 23، 24، 25، 27، 28، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 39، 43، 45، 46، 47، 48، 54، 55، 57، 59، 62، 63، 65.

البراء بن عازب:47.

باديس بن حبُّوس: 11.

ابن بسام: 17، 29، 57، 60.

أبو بكر خلف بن أحمد الرهوني الطليطلي الرّحوي: 30، 34.

أبو بكر المطوعي: 31.

أبو بكر بن سختويه: 31.

أبو بكر الخصّار: 24.

أبو بكر بن الصانع: 46.

ابن بشكوال: 22، 23، 40، 65.

أبو بكر بن العربي: 32، 43.

(ر)

ابن أبي رُنْدَقة: 39.

(ز)

زهير العامري:15.

ابن زيدون: 18.

الزبيدي: 18.

أبي زيد المروزي: 36.

(س)

ابن سيدة علي بن أحمد بن اسماعيل: 17.

بابن السِّمْسار: 32، 36.

أبو سعيد الاسماعيلي: 35.

(ش)

ابن شهيد: 18.

الشافعي: 31، 35.

أبو شاكر عبد الواحد بن محمد بابن القبري:24، 25، 33 ، 39.

(ص)

الصيّمري: 31، 35، 43.

ابن الصفّار: 34.

(ط)

طارق بن زياد: 21.

أبي الطيب الطبري: 31، 46.

أبو الطيب بن عبد الله بن ظاهر بن عمر الطبري: 35.

(ع)

ابن عبد البّر: 5، 13، 37، 39، 42.

عبد الرحمن الناصر: 14.

ابن عذاري: 16.

فهرس الأعلام

البخاري: 35، 36، 39، 40، 47، 51، 59.

أبو بكر الخطيب البغدادي: 35، 38.

أبو بكر الشامي:42.

أبو بكر الأبهري: 51.

أبو بكر الباقلاني: 51.

فردلند: 57، 58.

(ت)

ابن تاشفين: 13، 62.

أبو جعفر السِّمناني: 32.

(ث)

ابن ثابت زكرياء بن برطال:34.

(ج)

أبو جعفر أحمد بن عباس: 15.

أبو جعفر أحمد بن غزلون الأموي: 22، 40.

(ح)

أبو الحزم بن جهور: 4، 33.

بن حزم الظاهري:4، 13، 36، 37، 39، 41، 44، 45، 46.

ابن حداد: 17.

أبو حفص عمر بن حسين الهوازني:46.

أبو الحسن بن رشيق القيرواني: 4.

الحكم المستنصر بالله: 14.

ابن حمديس الصقلي: 18.

أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري: 18.

أبو الحسن علي بن موسى الدمشقي :32.

أبو الحسن محمد بن عوف المُزنِي، الدمشقي: 36.

ابن حجر: 39.

الحميدي: 37، 39.

أبو الحسن طاهر بن مفوّز: 40.

أبو عمرو بن سعيد:17.

ابن عبادة: 17.

ابن عمار: 18.

عبادة القزاز: 18.

بن عبّاد: 45.

الفقيه أبي العباس: 25.

عياض:24، 25، 39، 42، 45، 58، 66.

عبد العزيز بن عامر: 7.

عبد الجليل بن وهبون: 18.

أبو العرب الزبيري: 18.

ابن عريف: 18.

عمير بن أبي المهاجر: 20.

بن عساكر:22.

أبو علي الجيّاني: 26، 39.

أبو علي الغساني: 22، 39، 42.

الدامغاني: 31، 43.

أبو عمر بن الحذّاء: 40.

أبو علي الصدفي: 24، 39، 41.

عيسى بن خلف بن عيسى(ابن أبي درهم): 34.

عبد الله بن الوليد بن سعيد: 34.

عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن غفير: 34.

عبد الله بن هند: 48.

علي بن موسى بن الحسين الدمشقي: 36.

أبو علي حسين بن محمد بن فيَّرة الصدفي: 24، 39.

أبو عمرو الداني:17، 40.

أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن جعفر: 35.

أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني: 39.

عمر بن محمد المتوكل:57، 58، 66.

فهرس الأعلام

ابن حيان: 57.

(خ)

ابن خاقان: 17، 42، 43، 49.

بن الخطيب: 5، 16، 56.

ابن خلكان:23، 36، 42، 49.

خلف بن سعد: 20، 23، 24.

ابن الخراز: 34.

خوليان ريبيرا: 65.

(د)

أبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح:40.

(ذ)

أبو ذر الهروي:31، 34، 41.

(ف)

ابن فرحون: 26، 39.

أبو الفضل بن عروس: 31.

ابن فياض: 65.

(ق)

القاضي عبد الوهاب: 41.

القسطلي: 18.

ابن القصّار الشيرازي: 51.

(ل)

ابن اللبابة: 18.

(م)

المظفر بن الأفطش: 16، 17.

المراكشي: 3.

المعتـمد: 4، 18، 45.

المعتضد: 18.

المقري: 5، 42، 46، 56، 57، 61، 66.

مجاهد العامري: 8، 9، 15، 16، 41.

محمد عبد الله عنان: 11.

المأمون بن ذي النون: 11.

محمد بن موهب القبري: 25.، 33.

أبو محمد بن الوليد: 32، 39.

ابن محرز: 31.

محمد ابن أبي الخير: 22، 23، 24.

محمد بن أبي الوليد سليمان بن خلف: 24.

محمد بن عوف المزني: 36.

مكي بن أبي طالب :30، 33.

أبو محمد الأصيلي: 43.

مسلم: 35، 40، 41.

محمد بن حيدرة بن مُفَوِّز المعافري الشاطبي: 40.

ابن ماكولا: 38، 41.

المؤيَّد بالله: 40، 45.

المقتدر بالله : 43، 47، 49، 58.

أبي مروان بن السراج: 40.

المتوكل بالله: 57، 58، 66.

محمد بن الكتاني المتطبب :36، 65.

ابن أبي محمود الوراق: 31.

محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان الطرطوشي: 39.

(ن)

النباهي: 66.

(و)

الوليد بن عبد الملك: 21.

ولاّدة بنت المستكفي:65.

المعتصم بن صمادح: 7، 17.

(ي)

ياقوت الحموي: 26.

يونس بن عبد الله بن مغيث: 30، 34.

فهرس الأماكن

(أ)

الأنـــــدلس:3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 18،19، 20، 21، 23، 29، 30، 32، 33، 37، 38، 39، 40، 41، 43، 44، 46،50، 56، 57، 58، 59،61، 62، 65، 66.

إشبيلية: 6، 9، 18، 45، 46 .

اريولة: 66.

ايطاليا: 8.

اصبهان: 34.

(ب)

باجة: 21، 23، 41 .

بلنسية: 7، 9، 16، 62 .

بطليوس: 9، 17، 20، 21، 22، 23،41، 57.

بغداد: 31، 35، 36، 38، 39، 41، 42.

برشلونة: 62.

بريشتر: 62.

(ث)

الثغر الاعلى:7، 9.

(ج)

جزر البليار: 8، 9 .

الجزائر الشرقية: 16 .

(ح)

حلب: 32، 44، 66 .

(ر)

الربض: 65 .

ربع الكرخ: 35.

(س)

سرقسطة: 7، 9، 24، 39، 47، 59،62..

سردينيا: 8 .

سمنان: 36 .

(ش)

الشام : 30، 32، 36، 44.

شاطبة: 33، 37.

(ص)

صقلية: 18، 48.

(ط)

طليطلة: 9، 11، 30، 34، 57.

طبرستان:35.

(ع)

العراق : 30، 31، 36، 38، 50.

عدوة المغرب: 62.

(غ)

غرناطة: 7، 9، 11 .

(م)

المرية: 7، 9، 17، 26، 58، 59 .

مالقة: 8، 12.

مكة: 31، 34، 47 .

فهرس الأماكن

الحجاز: 31، 34 .

(د)

دانية:8، 9، 16، 41، 47، 48، 53 .

دَرْزيحان: 38.

درب الزرادين: 35 .

(ف)

فيروز آباد: 35 .

(ق)

قرطبـــة: 6، 9، 15، 21، 23، 24، 33، 34، 36، 37، 39، 65.

قرمونة: 7 .

القيروان: 4، 18، 33، 39 .

قرية صدف: 39.

قُتَنْدَة : 39.

الموصل: 32، 36.

مصر: 31، 32، 34.

المدائن: 5، 35.

ميورقة: 37، 39، 45.

مرسية: 46.

مورور: 8.

(ن)

نيسابور: 35.

(هـ)

هراة: 34 .

ملخص الدراسة :

لقد جاءت هذه الدراسة حول الإمام أبي الوليد الباجي، حياته و آثاره (403 ـ 474هـ/1012 ـ 1081م)

إذ ابتدأ ـ رحمه الله ـ حياته الفكرية و مشواره العلمي، مهتمًا بالأدب وفنونه، مستظهرًا أكثر دواوينه، حاملاً لواء منثوره و موزونه، مبرزا ميادين شعره ونظمه، و بارعا في نثره و أساليبه، فنال به كلّ الرغائب، و انتهى تحصيله بعلوم الشريعة و الدين، و جعل خاتمة طوافه، و منتهى تجْواله السفارة الاصلاحية بين ملوك الطوائف، داعيًا محتسبًا إلى جمع كلمة المسلمين و لمّ شملهم، فضلاً عن انشغاله بالمهام القضائية و أدائه للأمانات التوثيقية، التي أُوكلت إليه، كلّ ذلك لم يمنعه من نشر العلم و بثّ المعرفة، و تأليف الكتب و تدريسها، ما ترك لنا ـ رحمه الله ـ آثارًا علمية قيّمة، و ثروةً علميةً نافعةً من الكتب و الرسائل، تزيد عن ثلاثين مؤلفًا في مختلف العلوم الشرعية وشتى الفنون و المعارف الأدبية، التي أحيت ذكره، و خلد التاريخ اسمه و آثاره في سماء الثقافة الأندلسية، و أكدت موسوعية شخصيته العلمية البارزة .

Abstract :

This study tries to examine the life and impact of Imam Abu al-Walid al-Baji, specificallyhisintellectual life and scientificcareer. He took an interest in literature and its arts, memorizedmost of his books, carried the banner of his prose and balance. He excelled in the fields of poetry and itssystems, as well as in prose and itsmethods. In addition, hefulfilled all hisdesires and finishedhiseducation in the sciences of Sharia and religion, all thisdid not discourage and preventhimfromspreading science and spreadingknowledge.Healsoleft us more thanthirty books in various arts, knowledge, and variousForensic Sciences, whichrevivedhismemory, immortalized the history of hisname and hiseffects on Andalusian culture, whichconfirmedhisoutstandingscientificpersonality.

فهرس القبائل و الشعوب

(أ)

الأموية: 5، 67.

الأندلسيون: 6

الاسبانية: 6، 56.

(ب)

البربر:5، 6، 7، 57.

بني أمية: 3، 5، 64، 60

بنو برزال:6.

(ت)

بنو تجيب : 6

(ج)

بنو جهور: 6، 8.

(ح)

بنو حمود: 7.

(ز)

بنو زيري: 7، 8.

(س)

سُليم: 18.

(ش)

الشعوب السلافية: 7.

(ص)

الصقالبة: 6، 7، 8.

بنو صمادح: 8 .

صنهاجة: 7 .

(ع)

العرب : 5، 6، 7، 17، 18، 19، 60 .

بنو عبّاد: 6، 8 .

(ق)

القحطانية: 19 .

(ك)

كندة: 18، 19 .

(ل)

اللخميون: 6 .

(م)

ملوك الطوائف:3، 4، 5، 9، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 41، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 67، 68 .

المسلمون: 5، 19، 56 .

الموالي: 5، 15، 60 .

المغاربة: 7.

بني مذجح:18.

(ن)

النصارى: 12، 13، 24، 60، 61.

(هـ)

بنو هود: 6، 8.

(ي)

اليهود:60

تم بحمد الله